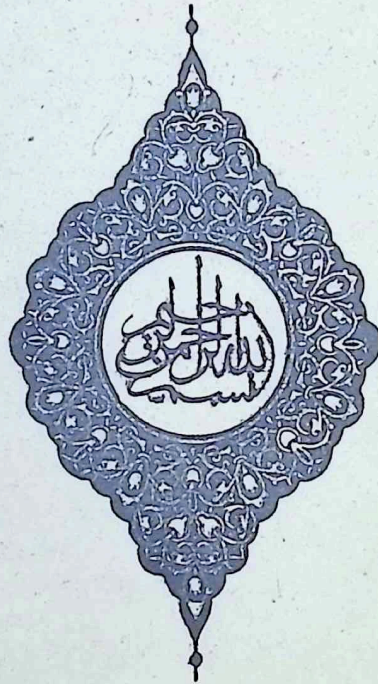




عمر بنابر
احمد حمزه



حرب على الإسلام

يشهد العالم الآن صراعا بين القوى والضعيف ، ويرى حربا طاحنة بين الغرب في أساطيله وقوته ، والشرق في تفككه وانحلاله .

وإذا نظرنا إلى أى صراع فى أى مكان، أو أية حرب فى أية بقعة، رأينا أن وراء غايتها الظاهرة غايةً أخرى خفية مستترة ، وأن نيات المستعمرين متجهة إلى حرب خفية على الإسلام ، وعمل على بث الفرقة والشتات بين المسلمين ، بل إزالتهم من الوجود، حتى لا تقوم لدينهم قائمة ، ولا ينتشر لهم لواء ، ولا تحقق لهم راية .
ولسنا نرمى القول جزافاً ، أو نقوله اعتباطاً ، وإنما مرجعه الواقع المحسوس ، والمشاهد الملبوس ، ودليله المنطق والفعل .

فلقد رأينا منذ أن وضعت الحرب الأخيرة أوزارها أنه ما من بلد إسلامى نهض من كبوته ، واستيقظ من غفلته ، مطالباً بحقه فى الحياة الحرة ، راغباً أن يعيش فى أمان من دينه وتقاليده، إلا شنَّ أعداء الإسلام عليه حرباً نكراً، ونكلوا به تنكيلاً شديداً...

فهذه أندونيسيا ، والعهد بما نال أبناءها المسلمين من تقتيل وتعذيب وحرب فى العقيدة والدين لا يزال قريبا ماثلاً فى الأذهان .

وهذه ملكة حيدر آباد المسلمة ، نرى الهندوسيين يضطهدونها ويحاربونها متدربين بالسياسة ، وهم لا يضمرون إلا القضاء عليها أخلاقيا ودينيا ...

وهذه فلسطين الشهيدة ، وأبناؤها العرب الأبحاد ، قد فعلت الصهيونية الدينية بها أفعالا منكرة ، وحاربتها فى دينها وقوميتها وعقيدتها حربا تنفر منها الإنسانية ،

وتن منها الرجولة والشرف، حتى اضطر أبناؤها إلى أن يشرذوا بمئات الألوف، وأن يصبحوا بلا مأوى ولا طعام، وحتى سجل التاريخ على الصهيونيين المنحطين أنهم قتلوا الحبالى، وبَقَرُوا بطون الأطفال، وأحرقوا الدور بمن فيها، بعد أن أعلنت الهدنة، وأرغم العرب على الخضوع لها.

وإن من يقرأ احتجاجات جامعة الدول العربية المتتالية ورسائلها المتعاقبة إلى وسيط هيئة الأمم، وما ذكر فيها من مأس وفواجع تشيب لها الولدان—ليتقطع نياط قلبه حزنا على ما أصاب أبناء العروبة، وما آلت إليه حالهم الأليمة... بل إن من يرى كيف تسند أمريكا وروسيا وغيرهما من الدول القوية الصهيونية وأعوانها، وكيف يتغاضى الوسيط عن جرائم الصهيونيين، ليتأكد لديه أنها مؤامرة مدبرة ضد الإسلام للقضاء على أبنائه وتمكين خصومهم منهم، حتى يتحقق لهم حلمهم الذى طالما حللوا به من محو الإسلام وتعاليمه، والتمكين لأعدائه من أبنائه، وليس يبعد أن نشهد حربا صليبية تقوم من جديد...

فيا معشر المسلمين! وأرسلها على صفحات هذه المجلة صيحة مدوية — تنبهوا إلى ما يراد بكم وبدينكم من خطر، واذكروا دائما أن الغرب وأعوانه من أعداء الإسلام لكم بالمرصاد، وأنهم يتربصون بكم الدوائر، ويغملون على محو دينكم من رقعة المعمورة... فوحدوا جهودكم، واستمسكوا بعروة دينكم الوثقى «وَلَا تُؤْمِنُوا إِلَّا بِالَّذِي تَبَعَ دِينَكُمْ» واعملوا على وجود صلة بين بلادكم، وكونوا كالجسم الواحد إذا اشتكى عضو منه تداعت له سائر الأعضاء بالسهر والحمى، وليغضب المسلم لأخيه المسلم عملا وقولا، ولينصره ويقف إلى جانبه دائما، وإياكم أن يدخل الأعداء من صفوفكم، ويفرقوا بين طوائفكم، وحسبكم ما وصلتم إليه من مهانة، وما لحق بكم من اضمحلال. كونوا لدينكم ولربكم، يكن الله لكم، ولا تفرطوا في حق من حقوقكم، وانصروا الله دائما «إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ»... وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ، وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَبْرِكُمْ أَعْمَالَكُمْ...

محمد

نَفْسِ الْقَدَرِ الْكَبِيرِ



وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ
سُوءَ الْعَذَابِ ، يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ
نِسَاءَكُمْ ، وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ .
وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمْ الْبَحْرَ فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا
آلَ فِرْعَوْنَ وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ . وَإِذَا وَعَدْنَا
مُوسَىٰ أَرْبَعِينَ لَيْلَةً ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ . ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ . وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ
وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ،

ذَكَرَ اللهُ تَعَالَى فِيمَا سَلَفَ بَنِي إِسْرَائِيلَ
بِنِعْمَةِ إِجْمَالٍ ، فَقَالَ : « اذْكُرُوا نِعْمَتِي
الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ » ، وَاتَّبَعَ ذَلِكَ بَيَانُ
بَعْضِ النِّعَمِ عَلَى وَجْهِ التَّفْصِيلِ ، لِيَكُونَ
التَّذْكِيرُ بِالنِّعْمَةِ أَكْبَرَ ، وَالْحُجَّةُ عَلَيْهِمْ إِذَا
لَمْ يَشْكُرُوا أَوْضَحُ ؛ وَصَدَّرَ هَذِهِ النِّعَمَ
بِالْمُفَصَّلَةِ بِتَفْضِيلِهِمْ عَلَى الْعَالَمِينَ فَقَالَ تَعَالَى :
« وَأَنْتَى فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ » . وَلَمَّا

كَانَ تَفْضِيلُهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ قَدْ يَأْخُذُهُمْ
بِغُرُورٍ ، وَيُوقِعُ فِي أَوْهَامِهِمْ أَنَّهُمْ لَيْسُوا
فِي حَاجَةٍ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى صَالِحِ الْأَعْمَالِ ،
أَرْشَدَهُمْ إِلَى أَنَّ التَّقْوَى هِيَ سَبَبُ السَّلَامَةِ
وَالْفَوْزِ ، فَقَالَ تَعَالَى : « وَاتَّقُوا يَوْمَ
لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا » .
الْآيَةُ ، ثُمَّ أوردَ عَقِبَ نِعْمَةِ التَّفْضِيلِ نِعْمَةً
أُخْرَى عَظِيمَةً الشَّانِ ، وَهِيَ مَا أَشَارَ إِلَيْهِ

في هذه الآيات ، فقال تعالى :

« وَإِذْ نَجَّيْنَاكُمْ مِنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ . »

إذ: بمعنى وقت ، فهي مفعول به لفعل

ملاحظ في نظم الكلام ، وهو ماذكروا :
والتنجية : التخليص والإنقاذ .

والآل : الأهل والأتباع . وفرعون :

اسم لملك مصر ، كما يقال لملك الروم :

قيصر ، وملك الفرس : كسرى ، وملك

الين : تبع . ويسومونكم : من السوم

بمعنى التكليف . وسوء العذاب : أشقه

وأصعبه . والمعنى : واذكروا وقت أن

نجيناكم من آل فرعون إذ يكلفونكم أشق

العذاب وأصعبه . والمراد من تذكيرهم

بالوقت تذكيرهم بما وقع فيه من تنجيهم

من آل فرعون .

« يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ

نِسَاءَكُمْ » :

هاتان الجملتان واردتان مورد البيان

للجملة السابقة ، فهما مبيتان لما أريد من

دسوء العذاب الذي كان فرعون وقومه

و يأخذون به بنى إسرائيل . و« يذبحون » من

تذبيح الدال على كثرة الذبح الذي

هو إزهاق الروح بإصابة الخنق . والآباء :

الأطفال الذكور . والاستحياء : الاستبقاء .

والنساء : اسم جمع واحد امرأة ، وأطلق

على البنات لأنهن يصرن نساء ، وأطلق

عليهن الاسم الذي يصرن إليه ، لأن

انتفاع آل فرعون باستخدامهن إنما يعظم

عند ما يصرن نساء . والمعنى أن آل فرعون

يقتلون ذكرا نكم ، ويستبقون إناثكم

أحياء . وفي استبقاء الإناث عذاب من

جهة إبقائهن خدما ، وإذاقتهن حسرة ذبح

إخوتهن من الذكور : وكان فرعون

يذبح أطفال بنى إسرائيل مخافة أن ينشأ

فيهم من يناوئ سلطانه ، ويعمل

لتقويض أركان عرشه ؛ وقد وقع ما تخوف

منه ، إذ نهض موسى عليه السلام

بنى إسرائيل ، وسار بهم في طريق النجاة ،

فسقط عرشه ، ومات غريقا ، ونجى

بيدنه ليكون لمن خلفه آية .

« وَفِي ذَلِكُمْ بَلَاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ » :

البلاء في الأصل : الاختبار

والامتحان ، ويكون في الخير والشر ؛

قال تعالى : « وَابْلُوكُمْ بِالْأَشْرِّ وَالْخَيْرِ

فِتْنَةً » . وقال تعالى « وَابْلَوْنَاهُمْ

بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ »

فالله يبتلي الناس بالسراء ليشكروا ، ويبتليهم

بالضراء ليصبروا ، أو ليقلقوا عما

يتعرضون له من سخطه وأليم عقابه قديمة - تلجرام

والمبتدأ من نظم الآية أن المشار إليه بقوله « وفي ذلكم » هو سوء العذاب الذي كان فرعون يسومهم إياه . ونسبة البلاء إلى الله إذ قال « من ربكم » من جهة أنه سلب عليهم آل فرعون . ووصف البلاء بالعظم فقال « عظيم » لأن تذيب الأبناء واستحياء البنات من أعظم البلاء الذي ينزل بالآمة على أيدي أعدائها .
« وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ » :

الفرق : الفصل بين الشيتين ؛ يقال فرق كذا أى فصل بعضه عن بعض . والبحر : الماء الكثير مجتمعاً بمكان ، ملحاً كان أم عذباً . والواقعة تقتضى أنه بحر يصل مصر بالأرض المقدسة . وقال المفسرون : هو بحر القلزم (البحر الأحمر) . وقد انفلق البحر عند انتقال موسى عليه السلام ببني إسرائيل إلى الأرض المقدسة ، فمروا في طريق يَبَسٍ وَالْأَمْنُ حَيْطَ بِهِمْ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ حَتَّى بَلَغُوا شَاطِئَ النَّجَاةِ . ومعنى « فرقتنا بكم البحر » : فصلنا بعضه عن بعض من أجلكم ، أى من أجل مروركم فيه . وهذا معنى قولهم : إن الباء في قوله « بكم » للسببية .

وإذا نظرنا إلى ما جاء في آية أخرى من أن موسى عليه السلام ضرب البحر

بعضاه فانفلق ، ثم إن القوم بعد انفلاق البحر بعضاً موسى توسطوه بسيرهم بين جنبيه ، ومن توسط شيئاً ، صح أن يقال : إنه فرق بعضه عن بعض ، فيقال إن القوم فرقوا البحر ، على معنى أنهم فصلوا بعضه عن بعض بسيرهم في وسطه . ونسب الله فرق البحر بهذا المعنى إلى نفسه فقال « فرقتنا بكم البحر » ليدل على أن القوم فرقوا البحر وقطعوه وعبروه وهو معهم برعايته وعونه ، فيثول معنى « فرقتنا بكم البحر » إلى معنى قوله تعالى : « وجاوزنا بني إسرائيل البحر » .
« فَأَنْجَيْنَاكُمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ » :

في الآية جملة ملاحظة في النظم استغنى عن ذكرها بدلالة المعنى عليها ، وتقديرها مع الملفوظ به : وإذا فرقتنا بكم البحر وتبعكم فرعون وجنوده فأنجيناكم من الغرق ، أو من إدراك فرعون وآله لكم . وذكر الله تعالى في هذه الآية إغراق آل فرعون دون فرعون ، وذكر في آية أخرى إغراقه ، فقال تعالى « فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعاً » .
« وَأَنْتُمْ تَنْظُرُونَ » :

النظر : الإبصار . والمعنى : أغرقنا آل فرعون وأنتم تبصرون إهلاك عدوكم

تعالى : « يَا مُوسَى إِنِّي اصْطَفَيْتُكَ عَلَى
النَّاسِ بِرِسَالَاتِي وَبِكَلَامِي فَخَذْتُ
مَا آتَيْتُكَ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ .
وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَابِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ
مَوْعِظَةً وَتَفْصِيلًا لِكُلِّ شَيْءٍ » .

وقال : « أربعين ليلة » ولم يقل أربعين
يوماً ، لأن أول الشهر العربي ليلة طلوع
الهلال ؛ ولهذا نجد العرب يؤرخون
بالليالي ، فيقولون : وقع كذا لخمس ليال
مثلاً خلت من الشهر .

« ثُمَّ اتَّخَذْتُمُ الْعِجْلَ مِنْ بَعْدِهِ
وَأَنْتُمْ ظَالِمُونَ » :

العجل : ولد البقرة . والمراد ما صنعه
السامري على صورة العجل . ومعنى
اتخاذهم العجل جعلهم له إلهاً يعبدونه .
والضمير في قوله : « من بعده » يعود إلى
موسى عليه السلام بملاحظة مضاف يدل
عليه سياق الكلام . والمعنى : ثم اتخذتم
العجل من بعد ذهاب موسى إلى الطور
وأنتم ظالمون لأنفسكم بعبادة غير الله .
وكذلك كل من ارتكب شركاً أو إثماً
فهو ظالم لنفسه ، لأنه يُلقي بها في شقاء
وخسزان ، بدل أن يسمو بها إلى مقام
كريم .

بالإغراق ، وتشاهدونه بأعينكم ، وهذا
أدعى لليقين بهلاكه ، وأبلغ في الشماتة به ،
والعقيدة السليمة تقضى بأن تفهم
واقعة انفلاق البحر لموسى وقومه على أنها
معجزة كونية ، لا أنها حادثة طبيعية
منشؤها المد والجزر ، كما يزعم بعض من
لا يبالي أن يظهر برأى يدفعه صريح
القرآن الكريم .

« وَإِذْ وَاَعَدْنَا مُوسَى أَرْبَعِينَ لَيْلَةً » :

هذا معطوف على الآيات السابقة ؛
فهو على معنى : واذكروا إذ واعدنا .
والموعود به التوراة . والأربعون ليلة
ميقات لقضاء الوعد ؛ أى أن إعطاء
التوراة يَكُون عند تمام أربعين ليلة .
فالأصل : واعدنا موسى أن نؤتيه التوراة
عند انقضاء أربعين ليلة . والأسلوب
العربي يساغ - متى كان المراد مفهوماً
للخطابين - الاقتصار على ذكر زمان
الموعود به أو مكانه ، فيقولون مثلاً :
وعدته يوم الخميس ، أى الزيارة أو
الحضور يوم الخميس ؛ أو وعدته بطن
الوادي أو شاطئه ، أى الملاقاة به . ويدل
على أن الموعود به التوراة قوله تعالى
في سورة الأعراف : « وَوَاَعَدْنَا مُوسَى
ثَلَاثِينَ لَيْلَةً وَأَتَمَمْنَاهَا بِعَشْرِ » ثم قال

« ثُمَّ عَفَوْنَا عَنْكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ » :

العفو : محو الذنب وعدم المؤاخذة به . واسم الإشارة «ذلك» يعود على اتخاذ العجل المفهوم من قوله : «اتخذتم العجل» . والشكر : الحديث بنعمة المنعم والثناء عليه . وحرف « لعل » في هذه الآية ظاهر في معنى التعليل . والمعنى : عفونا عنكم إذ تبتم بعد الارتداد عن دينكم ، لتكونوا من الشاكرين على نعمة العفو . ومن شكر للمنع نعمة من حيث إنها نعمة صادرة منه ، كان شأنه أن يشكره على كل نعمة يسديها إليه . فالعفو عن موبقة عبادتهم العجل بعد التوبة منها ، شأنه أن يكون داعياً لشكرهم عليه ، وباعثاً على

قيامهم بواجب الشكر عند كل نعمة . « وَإِذْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ وَالْفُرْقَانَ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ » :

آتينا : أعطينا . والكتاب : التوراة . والفرقان : الشرائع والأحكام ، لأنها تفرق بين الحق والباطل ، والحلال والحرام . ويصح أن يراد من الفرقان الآيات والمعجزات التي أجراها الله على يديه للدلالة على صدق رسالته ؛ وسميت فرقانا لأنها تفرق بين دعوى الرسالة حقاً ودعواها زوراً . والمعنى : واذكروا إذ أعطينا موسى التوراة ، والشرائع والآحكام ، والآيات والمعجزات ، لتهتدوا بها إلى سبيل الفلاح في الدنيا ، والفوز بالسعادة في الآخرة .

حكم

من أفضل البر ثلاثة : الصدق في الغضب ، والجود في العسرة ، والعفو عند المقدرة . ومن أفضل أعمال العلماء ثلاثة : أن يبدلوا العدو صديقاً ، والجاهل عالماً ، والفاجر براً .

كل إنسان موكل بإصلاح قدر باع من الأرض ، فإذا أصلح ذلك الباع صلحت أموره كلها ، وإذا أضاعه أضاع الجميع ، وقدر ذلك الباع هو نفسه .

لا ضرر ولا ضرار

أخرج جماعة من أهل الحديث أنه صلى الله عليه وسلم قال: «لا ضرر ولا ضرار».

هذا الحديث يُعدّ من أقوال الرسول الجامعة، وحكمه الشاملة؛ ويُعتبر أصلاً من أصول الشريعة، وقاعدة عامة من قواعد الأحكام المأخوذة من جملة أوامر ونواهٍ متفرقة في القرآن؛ ولذلك قال عنه أبو داود: «إنه من الأحاديث التي يدور الفقه عليها».

وقد رُوي في معناه قوله صلى الله عليه وسلم: «من ضارَّ ضارَّ الله به، ومن شاقَّ شقَّ الله عليه» وقوله: «ملعون من ضارَّ مؤمناً، أو مكر به».

واختلف أهل العلم: هل بين الضرر والضرار فرق أولاً؟ فمنهم من قال: هما بمعنى واحد، وجمع بينهما للتأكيد، فكأنه قيل: لا تضر، لا تضر؛ ولكن المشهور أن بينهما فرقاً وأنهما مختلفان في المعنى، ثم قيل: الضرر: ابتداء الفعل، والضرار: الجزاء عليه. وقيل: الضرر: ما يضر الإنسان به غيره، وينتفع هو به، والضرار: أن يضر من غير أن ينتفع. وقيل: بالعكس. وقيل: الأول نهى للشخص عن تعاطي ما يضر نفسه، والثاني

نهي له عن فعل ما يضر غيره . وقيل :
الأول : عبارة عن منع ما ينفع الغير ،
والثاني : عبارة عن فعل ما يضر الغير .
وقيل : معنى الأول : لا يضر الشخص
أخاه ، فينقص شيئاً من حقه ، ومعنى
الثاني : لا يضر الرجل جاره بإدخال
الضرر عليه . وقيل : غير ذلك كثير .
وكيفما كان المعنى ، فإن الذي عني به
الحديث إنما هو نفي الضرر والضرار
في الإسلام بغير حق ؛ فأما إدخال الضرر
على من يستحقه لأنه تعدى حدود الله ،
أو لأنه ارتكب من الجرائم ما تقضى
العدالة بمعاقبته بقدرها ، فهذا غير
مراد قطعاً .

مسائل الضرر في الأحكام كثيرة
جداً ، ويمكن إدخالها تحت نوعين :
النوع الأول : وضابطه : ألا يكون
للمضار غرض سوى إلحاق الضرر
بالغير ؛ وقد عرض القرآن في كثير من
آياته للنهي عن هذا النوع من المضارة
في جملة مواضع :

فمنها المضارة في الوصية ، قال تعالى :
مِنْ بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دِينَ غَيْرِ

مُضَارٍّ ، والإضرار في الوصية تارة يكون
بأن يُخص بعض الورثة بزيادة على فرضه
الذي فرضه الله له ، فيتضرر بقية الورثة
بهذا التخصيص ؛ ولذلك قال صلى الله
عليه وسلم : « إن الله قد أعطى كل
ذی حق حقه ، فلا وصية لوارث » .
وتارة بأن يوصى لأجنبي بزيادة
على الثلث ، فينقص حقوق الورثة .

وإذا كان هذا كله لاريب في قبحه
وتحريمه ، فكيف بما يقع من بعض
الأغنياء في زماننا حيث يضارون
أولادهم في ميراثهم ، فيخسون أولادهم
الذكور بالزكات ، ويحرمون أولادهم
البنات بما فرضه الله لهن ؟

ومنها المضارة في الرجعة في النكاح ،
قال تعالى : « فَأَمْسِكُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ
أَوْ سَرِّحُوهُنَّ بِمَعْرُوفٍ ، وَلَا تُمْسِكُوهُنَّ
ضِرَارًا لِّتَعْتَدُوا ، وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ فَقَدْ
ظَلَمَ نَفْسَهُ » ، وقال : « وَبَعُوهُنَّ أَحَقُّ
بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلَاحًا » .
فدل ذلك على أن من كان قصده بالرجعة
المضارة فإنه آثم بذلك ، وهذا كما كانوا
في أول الإسلام قبل حصر الطلاق
في ثلاث ؛ فقد كان الرجل يطلق امرأته

أما النوع الثاني : فضابطه : أن يكون

للضار غرض صحيح من تصرفه ،
كأن يتصرف في ملكه بما فيه مصلحة له ،
وهذا يتفرع إلى فرعين ، الأول : أن
يتعدى ذلك إلى ضرر غيره ، والثاني : أن
يمنع غيره من الانتفاع بملكه ، فيتضرر
الممنوع بسبب ذلك .

فأما الأول ، فإما أن يكون التصرف
فيه جرى على غير الوجه المعتاد ، وبذلك
يكون متعديا ويلزمه الضمان ؛ وإما أن
يكون جرى على الوجه المعتاد ، وللعلماء
فيه قولان مشهوران : المنع وعدمه . ومن
صور المنع في نظر بعض الفقهاء : أن
يفتح كوة في بناءه العالي مشرفة على
جاره ، أو يبني بناءً عاليا يشرف على جاره
ولا يستره ويحجب عنه الشمس والهواء ،
أو أن يحفر بئراً بالقرب من بئر جاره
فتذهب ماؤها ، أو أن يحدث في ملكه
ما يضر ملك جاره من هز أو دق ونحوهما ؛
وكذلك ما يضر بالسكان ، كما له رائحة
خبثية ، أو أن يكون له ملك في أرض
غيره ويتضرر صاحب الأرض بدخوله
إلى أرضه ، فإنه يجبر على إزالته ، ليندفع
به ضرر الدخول ؛ روى أنه كان لأبي
لبابة عذق في حائط رجل ، فكلمه ، فقال :

ثم يتركها حتى يقارب انقضاء عدتها ،
ثم يراجعها ، ثم يطلقها ، ويفعل ذلك أبداً
بغير نهاية ، فيدع المرأة لا مطلقة ولا ممسكة ؛
فأبطل الله ذلك ، وحصر الطلاق في ثلاث
مرات .

ومنها المضارة في الرضاع ، قال تعالى :
« لَا تَضَارَّ وَالِدَةُ بِوَلَدِهَا » قال مجاهد :
لا يمنع أمه أن ترضعه ليحزنها بذلك .

ومنها المضارة في البيع ؛ فقد ورد
النهي عن بيع المضطر ، ففي حديث على
ابن أبي طالب أنه خطب الناس فقال :
« إنه سيأتي على الناس زمان عضوض ،
يعض الموسر على مافي يديه ، ولم يؤمر
بذلك » قال تعالى : « وَلَا تَتَسَوَّا الْفَضْلَ
بَيْنَكُمْ » وقال عبد الله بن معقل : « بيع
الضرورة ربا » قال حرب : سئل أحمد
عن بيع المضطر ، فكرهه ، فقيل له : كيف
هو ؟ قال : يحيثك وهو محتاج فتبيعه
ما يساوي عشرة عشرين .

ومن أنواع الضرر في البيوع ،
التفريق بين الوالدة وولدها في البيع ،
فإن كان الولد صغيراً ، حرم بالاتفاق ،
وقد روى « من فرق بين والدته وولدها
فرق الله بينه وبين أحبته يوم القيامة » .
فإن رضيت الأم بذلك ، ففي جوازه
اختلاف .

والمشقة ، وإلا ما تحقق فيه اليسر
والسهولة ، ويظهر أثر ذلك واضحاً في كل
التشريعات ، وفي روح الدين نفسه .

وما يدخل في عمومه أيضاً ، أن من
عليه دين لا يطالب به مع إعساره ، بل
ينظر إلى حالة يساره ؛ قال تعالى : « وَإِنْ
كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ » .

أخذ بعض الفقهاء من هذا الحديث
القاعدة المشهورة ، وهي أن «الضرر يزال»
وبنوا عليها كثيراً من أبواب الفقه ،
كالرد بالعيب ، وجميع أنواع الخيار من
إخلاف وصف الشروط والتغيير ،
وإفلاس المشتري وغير ذلك ؛ كما بنوا
على تلك القاعدة السابقة قواعد أخرى ،
مثل : الضرورات تبيح المحظورات ،
ومثل : ما أبيح للضرورة يقدر بقدرها ،
ومثل ارتكاب أخف الضررين عند
تعارضهما ، ومثل درء المفاسد مقدم على
جلب المصالح .

فأنت ترى من هذا كله أن هذا
الحديث يشهد بحق أنه صلى الله عليه وسلم
قد بعث بجوامع الكلم ، وأنه قد أوتي
نوابغ الحكم ؟

إنك تطأ حائطي إلى عذقك ، فأنا أعطيك
مثله في حائطك ، وأخرجه عني ، فأبي
عليه ؛ فكلّمه النبي صلى الله عليه وسلم ،
فقال يا أبا لبابة : خذ مثل عذقك ، فخرها
إلى مالك ، واكفف عن صاحبك ما يكره .
فقال : ما أنا بفاعل ، فقال : اذهب
فأخرج له مثل عذقه إلى حائطه ، ثم
اضرب فوق ذلك بجدار ، فإنه لا ضرر
في الإسلام ولا ضرار . فهذا يدل على
الإجبار على المعاوضة حيث كان على
شريكه أو جاره ضرر في تركه .

وأما الفرع الثاني ، وهو منع الغير
من الانتفاع بملكه ، والارتفاق به ،
وتضرره بذلك ، فإنه يمنع منه قولاً واحداً ؛
وذلك كمن له جدار وإم لا يحمل أن
يطرح عليه خشب .

* * *

وما يدخل في عموم الحديث الذي
معنا أن الله تعالى لم يكلف عباده فعل
ما يضرهم ، ولم يأمرهم إلا بما فيه عين
صلاح دينهم وديارهم ، ولم ينههم إلا عما
فيه فساد دينهم وديارهم ، ولم يشرع لهم
من الأحكام إلا ما كان بعيداً من الحرج

الحُمى التيفودية

قال لي الدكتور جيجر مدير صحة مدينة سان فرنسكو عند زيارتي لهذه المدينة منذ أكثر من عامين : إن الحمى التيفودية قد اختفت أو كادت لدرجة أن بعض المتخرجين من كلية الطب بجامعة كاليفورنيا نالوا دبلوماتهم دون أن يروا حالة حمى تيفودية واحدة.

تتواجد هذه الحمى وتنتشر حيث الذباب ، وحيث تتراكم القاذورات من قمامة وبراز في المنازل والطرقات . وتتواجد وتنتشر التيفودية حيث المياه غير نقية . ويساعد في كل هذا جهل الأهاليين بالأمور الصحية ، وعدم اتباعهم لقواعدها .

تتسبب التيفودية من عدوى بميكروبها تصل إلى الجسم عن طريق الجهاز الهضمي ؛ فإذا أمن الإنسان نظافة يديه ، ونقاوة جروب مبيات قديمه ، ونقاوة

حضرة صاحب العزة الدكتور أحمد محمد كمال بك النقيب الأعلى للمهن الطبية ورئيس الجمعية الصحية المصرية وصاحب ورئيس تحرير زميلتنا « مجلة الدكتور الغراء » وأستاذ الصحة العامة بكلية الطب بجامعة فؤاد ومدير عام مصلحة الصحة الوقائية . وسعادته بأبحاثه القيمة غني عن التقديم .

وقد رغبتنا إلى سعادته بمناسبة ما يهدد اللاجئين العرب من تفشي الحمى التيفودية بينهم أن يوافي لواء الاسلام بهذا المقال فنفضل به مشكوراً .

المياه التي يشربها ، وخلو الغذاء الذي يتناوله من الميكروبات ، أمن المرض .
لا أريد أن أدخل هنا في تفاصيل أعراض المرض ومضاعفاته ، فهذا موضوع طرقت أكثر من مرة . ويكفي أن أقول : إن التيفودية مرض خبيث ، وُحِي لعينة ، تهدد المصاب بها هداً ، وتضعفه لدرجة الإنهاك ، ولا ينجو من شرها إلا القوى الجسم ، الصحيح الأجهزة ، على شريطة أن يكون قد وضع نفسه منذ بدء المرض في أيدي طبيب يعالجه ويرشده ، ويمنع عنه غائلة المضاعفات الخطرة ، وما أكثرها وأخطرها في هذه الحمى .

فاستشارة الطبيب عند الشعور بصداغ مصحوب بارتفاع في درجة الحرارة أمر جوهري وواجب ، لأن هذه الحمى عادة تبدأ بأعراض هينة بسيطة قد لا يقدرها الشخص العادي ، ولكن الطبيب له من علمه ومن وسائله ما يساعده على الاشتباه عند اللزوم .

والوقاية من هذه الحمى ليست بالأمر الصعب ، بل هي في مقدور الجميع . وتتلخص في كلة واحدة ، وهي «النظافة» . وصدقوني إذا قلت : إن النظافة وحدها كافية لمنع الحمى التيفودية ، بل هي

مانعة لكثير من الأمراض الأخرى . فنظافة الجسم والملبس مانعة من وجود القمل والبراغيث ، ولا تيفوس بغير القمل ، ولا طاعون بغير البراغيث . ونظافة الوجه والعينين كافية لمنع الأرماد : صديدية ، وغير صديدية . ونظافة الأيدي ونظافة المأكل والمشرب كافيتان لانتفاء الحمى التيفودية وغيرها من الأمراض المعوية كالذوسنتريا والإسهالات بأنواعها . فعلى الإنسان أن يغسل يديه دائماً ، وعلى الأخص قبل الأكل (وبعد) ، وبعد قضاء الحاجة . وعليه أن يتأكد من نظافة أواني الشرب والأكل ، وعليه أن يعمل على أن يكون غذاؤه نظيفاً في مواده ، حضّته أيدي نظيفة ، ووضع في أوان نظيفة .

وإياكم والذباب ! فالذباب حشرة غرامها القذارة على اختلاف أنواعها ، ولا تستمرىء غذاء أطيب من المواد البرازية ، فهي خير عندها من الشهد .

ولما كانت ميكروبات التيفود لا تتواجد إلا في البراز (والبول) فالذباب في نظر الأطباء عامل هام جداً في نقل عدوى التيفودية ، بما يحمله في جوفه وعلى أرجله وأجنحته من ميكروب التيفود .

امنعوا الذباب عن مأكولاتكم
ومشروبكم . لا تأكلوا غذا حطاً عليه
الذباب . اغسلوا أيديكم وأدواتكم
وأوانيكم تتقوا بذلك شر التيفودية وغيرها
من الأمراض المعوية .

اغلوا اللبن قبل شربه ، واللبن غذا
جيد ؛ غذا كامل لحد بعيد ، لا يستغنى
عنه الإنسان ، وعلى الأخص الأطفال
والمرضى . ولكن . . . نعم : ولكن
اللبن له خطره ؛ فهو مرتع خصيب لتوالد
الميكروبات إذا مألوث ؛ ويحصل التلوث
للبن من أيدي الحلابين والباعة ، ومن
الذباب ، ومن الأواني القذرة ، فاعلوا
اللبن تستفيدوا منه كغذا طيب ، وتتقوا
العدوى .

والحمى التيفودية ك بعض الأمراض
ترك في الناقهين منها بعض ميكروباتها
يحتزنها الناقه ويفرزها في برازه حيناً وفي
بوله حيناً آخر ؛ وهذا ما نسميه بحامل
الميكروب .

وحامل الميكروب شخص خطر ؛
فهو ليس مريضاً فتتقيه ، ولكنه شخص
معافى يختلط بأصدقائه وبأهله ، ينشر
المدوى بينهم ، إذا لم يتبع أصول النظافة
في معيشته . فهو إن لم يغسل يديه عقب

قضاء الحاجة لوث بها كل ما يمسك ، فهو
يلوث أيدي أصدقائه وأقربائه إذا
ماصافهم ، وهو يلوث الغداء إذا مالسه
أو حضّره .

من ذلك تتضح الحكمة في غسل
الأيدي دائماً عقب قضاء الحاجة .

ولا نطن أن كلامنا عن هذه الحمى
واتقائها يكون كاملاً إذا لم يذكر مسألتين
أخيرتين :

الأولى : المياه والخضر والفاكهة ؛
والثانية : التطعيم ضد المرض .

أما المياه : فمن تحصيل الحاصل أن
أن نذكر الجميع بأن المياه النقية من ألزم
الضروريات . فإذا لم تتواجد ففي عليها
خير ضمان . وما وباء الكوليرا الأخير
ببعيد . فكم من أفراد أصيدوا بالكوليرا
وتوفوا نتيجة إهمال هذا الإجراء البسيط
في حد ذاته ، والهام من الوجهة الصحية .
امتنعوا عن شرب مياه الطلبات
الموجودة بجوار مجارير المنازل ، فماؤها
ملوث كل التلوث . امتنعوا عن الاستقاء
من الترع حيث تتبولون وتبرزون .

وأما الخضر والفاكهة ففي غسلها
بالماء والصابون ما يكفي لاتقاء شر العدوى
عن طريقها .

بقى من مقالنا أن نقول كلمة عن
التطعيم . وأول ما نقوله عنه : أننا نحذر
الجميع من الركون إلى التطعيم كوسيلة
لانتقاء المرض .

التطعيم فائدة أو عمله هو إيجاد مناعة
أو حصانة في الجسم للتغلب على العدوى
عند حصولها .

والحصانة كلمة مطاطة، فهي موجودة
فعلا عند المطعمين أو المحقونين ، ولكن
بدرجات متفاوتة ، فقد يحقن شخصان
متماثلان جسما وصحة بكمية متساوية من
الطعم فتستجيب أنسجة أحدهما إلى الطعم
فيصيب مناعة عالية ، وقد لا يحصل ذلك
عند الآخر . أما لماذا فغير معروف
تماما الآن .

ولذلك ولأسباب فنية أخرى يجب
النظر إلى التطعيم كوسيلة ثانوية أو
إضافية للوقاية لا تغنى مطلقا عن اتباع
ما أسلفنا من إرشادات .

هذا ولما كانت المناعة التي تتولد
في جسم الإنسان نتيجة الحقن بالطعم
ينحسر معيارها مع الزمن ، كان من
الواجب على كل من يريد الإبقاء على
مناعة جسمه أن يكرر الحقن مرة كل
عام على الأقل .
أيها المواطنون !

الحى التيفودية ليست بالمرض السهل
علاجه . ولكنها مرض من السهل اتقاؤه .
تتقى التيفودية باتباع النظافة في كل
ما يدخل الجوف من مأكل ومشرب .
اغسلوا أيديكم . اغسلوا أدوات أكلكم
وشربكم . امنعوا الذباب أن يحط على
أيديكم أو أفواهكم أو أكلكم أو شربكم .
الماء والصابون خير مطهر لكل هذه .
أكثرُوا من استعمالهما في كل مناسبة بل
ودون مناسبة .

وأخيراً : زيدوا في مناعة أجسامكم
بالتطعيم ، وكرروه كل عام .
والسلام عليكم ورحمة الله

إرشادات نبوية

في مسند البزار عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« إن الله طيب يحب الطيب ، نظيف يحب النظافة ، كريم يحب الكرم ، جواد يحب
الجود ؛ فظنّفوا أنفسكم وساحاتكم ، ولا تشبهوا باليهود يجمعون الأكب في دورهم »
(الأكب : الزبالة) .

مواقف المشهود في غزوة بدر

فلما مضى على تكوّن هذه الأمة عام
وبعض عام ، أراد الله سبحانه أن يمتحنهم
بمحنة قاسية ، ليلبوا وحثهم وألفهم ،
ويظهر أثر الإيمان في قلوبهم ، وما غرسه
الرسول فيهم . وقد انجلت المحنة عن أن
الإسلام كَوّن من هؤلاء المهاجرين والأنصار
كتلة واحدة أخلصت وتفانت في نصره
رسول الله ودين الله ودعوة الله ، وأن
شعارهم واحد وغايتهم واحدة . فالمهاجرون
قاتلوا آباءهم وأبناءهم وإخوانهم ، ووقف
حمزة بن عبد المطلب يقاتل العباس بن
عبد المطلب ، ووقف علي بن أبي طالب
يقاتل عقيّل بن أبي طالب ، ووقف كل
مهاجر أمام قريب له أو نسيب ، غير
مبال بقرابته أو مصاهرته في سبيل الله
وإعلاء كلمة الله .

والأنصار قاتلوا قريشاً ، وهم ليس

بينهم وبينهم ترات ؛ والمعاهدة التي
جروب مجلات قديمة محجرام

أنفع الدروس وأبلغ العظات ،
ما تستلهم من الوقائع والمواقف المشهودة
للأبطال وعظماء الرجال . والحروب
والغزوات وكل ما ينتاب الأمة من شدائد
وأزمات هي الميدان الذي تظهر فيه بطولة
الأبطال ، واستكانة الضعفاء ، وإخلاص
الصادقين ، ومرض المنافقين ؛ وهي
البوتقة التي تميز الزائف من الجيد ،
والخبيث من الطيب .

وقد تكونت الأمة الإسلامية بعد
الهجرة الحمدية من فئتين : فئة المهاجرين
وأصلهم من مشركي قريش ، وفئة
الأنصار وأصلهم من نصارى نجران .
وما كانت بين مشركي مكة ونصارى المدينة
ألفة ولا مودة ، ولا كان بين فئتي الأنصار
أنفسهم ألفة ولا مودة ؛ لأن الأوس
والخزرج لبثوا عشرات السنين قبل
الإسلام يتحاربون ويتقاتلون .

عاهدوا عليها الرسول عند العقبة إنما كانت توجب عليهم أن ينصروه ويحموه ويدافعوا عنه إذا هوجم في مدينتهم ، وما كانت توجب عليهم أن يقاتلوا معه في ميدان خارج مدينتهم ؛ ولكن إيمانهم الذي فاضت به قلوبهم حول حالهم وألزمهم أن ينصروا الرسول أينما كان ، وأن يقاتلوا معه في أى مكان : وهذا الإيمان هو الذى ألّف بين قلوبهم ، وأنساهم ما كان بينهم من أحقاد وأضغان . وبهذه الروح القوية ، والعزيمة الصادقة ، والإيمان الراسخ ، نزل المسلمون ميدان القتال ببدر ؛ وكانت للكثير منهم في هذه الغزوة مواقف مشهودة ، فيها أنفع الدروس وأبلغ العظات .

فإن أظهر المواقف المشهودة في تلك الغزوة : موقف رسول الله ، في حسن سياسته ، ودستوريته ، وجعل الأمر شورى بينه وبين صحابته ؛ تجلّى هذا حين علم أن قريشاً أعدت النفير للدفاع عن الخيبر وقتال المسلمين ، فاستشار رسول الله أصحابه : هل يمضى أو يعود ؟ وما مضى في المسير إلا بعد أن أجمع عليه رأى صحابته . وتجلّى هذا أيضاً حين نزل في وادي بدر منزلاً ، وأشار عليه الحُباب

ابن المنذر أن يغيّر هذا المنزل ، فنفَّذ ما أشار به الحُباب . وتجلّى هذا أيضاً حين انتهى القتال وأسر المسلمون عدداً من المشركين ، وأراد بعض المشركين أن يفتدوا أسراهم ، فاستشار رسول الله أصحابه فيما يفعل .

وموقفه صلى الله عليه وسلم في شجاعته ، حتى قال على بن أبى طالب : « لما أن كان يوم بدر والتقى الجمعان اتقينا برسول الله ، وما كان أحد أقرب إلى العدو منه » .

وموقفه صلى الله عليه وسلم في صبره وثباته ، حتى إنه لما وقف يعدّ لصفوف المسلمين ، ورأى كثرة قريش وقوتهم ، لم يتسرب إلى قلبه يأس ، ولا إلى عزمه وهن ، بل تجلّد واتجه إلى ربه قائلاً : « اللهم هذه قريش قد أتت بخيلائها تحاول أن تكذب رسولك . اللهم فنصرك الذى وعدتني . اللهم إن تهلك هذه العصابة اليوم لا تعبد » .

وموقفه صلى الله عليه وسلم في رحمته ورقة قلبه ؛ قال عبد الله بن عباس : لما أمسى القوم من يوم بدر والأسارى محبوسون في الوثاق ، بات رسول الله ساهراً أول ليله ، فقال له أصحابه :

يارسول الله مالك لا تنام؟ فقال «سمعت
تصوّر العباس في وثاقه». قال: فقاموا
إلى العباس فأطلقوه؛ فنام رسول الله.
وقالت عائشة: لما بعث أهل مكة في فداء
أسراهم بعثت زينب بنت رسول في فداء
زوجها أبي العاص بن الربيع بمال،
وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة
أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها،
فلما رآها رسول الله رق لها رقة شديدة
وقال: «إن رأيتم أن تطلقوها أسيرها
وتردوها عليها الذي لها فافعلوا»، فقالوا:
نعم يارسول الله.. فأطلقوه وردوا عليها
الذي لها.

فهذه مواقف فيها دروس في دستورية
القائد، وحكمته، وشجاعته، وثنائه،
وعطفه، ورحمته.

ومن أظهر المواقف في غزوة بدر:
موقف سعد بن معاذ سيد الأوس وحامل
لواء الأنصار؛ فلورسّم الإخلاص رجلاً
لكان سعد بن معاذ. وهذان موقفان
من آيات إخلاصه وصدق إيمانه:

١ — استشار رسول الله أصحابه لما
بلغه أن قريشاً خرجت في عددها
وعُددها للقاء المسلمين وقتالهم، فأدلى
أبو بكر برأيه، وأدلى عمر برأيه، وقال

المقداد بن عمرو: «يارسول الله امض لما
أراك الله فنحن معك؛ والله لا نقول
لك كما قال بنو إسرائيل لموسى: اذهب
أنت وربك فقاتلا إنا ههنا قاعدون.
اذهب أنت وربك فقاتلا إنا معكما مقاتلون.
وقد ساد القوم سكوت، وقال الرسول:
أشيروا علي أيها الناس. فأدرك الأنصار
أنه يريدهم، فقام صاحب رأيهم سعد بن
معاذ وأفصح عن إخلاصه وإخلاص
قومه وقال: «لكنك تريدنا يارسول الله؟
فقال الرسول: أجل؛ فقال: سعد» لقد
آمنّا بك وصدّقناك، وشهدنا أن ما جئت
به هو الحق، وأعطيناك على ذلك عهدونا
وموآثيقنا على السمع والطاعة، فامض
لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك
بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته
لخضناه معك، وما تخلف منا رجل واحد،
وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً. إنا
لصبر في الحرب، صدق في اللقاء؛ لعل الله
يريك منا ما تقرر به عينك، فسر بنا على
بركة الله».

٢ — نزل المسلمون منزلهم ببدر
ورسول الله بينهم، فقال سعد بن معاذ:
«ياني الله نبي لك عريشاً تكون فيه،
ونعد عندك ركائبك ثم نلقى عدونا، فإن

أعزنا الله وأظهرنا على عدونا كان ذلك ما أحببنا ، وإن كانت الأخرى جلست على ركائبك فلحقت بمن وراءنا من قومنا فقد تخلف عنك أقوام يا نبي الله ما نحن بأشد لك حبا منهم ، ولو ظنوا أنك تلقى حربا ما تخلفوا عنك ، يمتنعك الله بهم ، يناصحونك ويجاهدون معك . فأتى رسول الله على سعد ، ودعاه بخير ، وبني المسلمون العريش للرسول .

ومن أظهر المواقف في هذه الغزوة : موقف أبي بكر وعمر حين التشاور في فداء الأسرى : فقد روى أن رسول الله أتى بسبعين أسيرا فيهم العباس عمه ، وعقيل بن أبي طالب ، فاستشار أبا بكر في هؤلاء الأسرى ، فقال أبو بكر « قومك وأهلك ، استبقهم لعل الله يتوب عليهم ، وخذ منهم فدية تقوى بها أصحابك » وقال عمر : « كذبوك وأخرجوك ، فقدّمهم واضرب أعناقهم ، فإن هؤلاء أئمة الكفر ، وإن الله أغناك عن الفداء . مكّن عليا من عقيل ، وحمزة من العباس ، ومكّن من فلان — لنسيب له — فلنضرب أعناقهم ! » فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : إن الله يُبَلِّغ قلوب رجال حتى تكون ألين من اللين ، وإن الله ليشدد

قلوب رجال حتى تكون أشد من الحجارة ، وإن مثلك يا أبا بكر مثل إبراهيم : « فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي وَمَنْ عَصَانِي فَإِنَّكَ غَفُورٌ رَحِيمٌ » ، ومثلك يا عمر مثل نوح : « رَبِّ لَا تَذَرْنِي عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَّارًا » .

ثم لان قلب رسول الله لرأى أبي بكر فقال لأصحابه : إن شئتم قتلتموهم ، وإن شئتم فاديتموهم . فقالوا : بل نأخذ الفداء . وأخذوا الفداء من الأسرى وأطلقوهم . وقد بين الله سبحانه في سورة الأنفال خطأ هذا الاجتهاد ، فقال عز شأنه « مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُشْخَنَ فِي الْأَرْضِ ، يُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا ، وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ ، وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ . لَوْ لَا كِتَابٌ مِنَ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ومعنى الآية الكريمة : ما ساغ لنبي ولا استقام له أن يكون له أسرى ويفاوض في اقتدائهم حتى يشخن في الأرض ، أي حتى يكثر القتل والجراحة في خصومه وخصوم دينه ؛ والمسلمون وهم قلة أذلة في حاجة إلى أن يظهروا عزهم وقوتهم ، بإضعاف خصومهم وإشاعة القتل فيهم . وهذا مصداق قول عمر :

كذبوك وأخرجوك وهؤلاء أئمة الكفر
وإن الله أعناك عن الفداء . جملة المعنى :
ماصح لنبي أن يكون له أسرى حتى يذل
الكفر ويضعفه بإشاعة القتل في أهله ،
ويعز الإسلام ويقويه بالاستيلاء والقهر ،
ثم الأسر بعد ذلك .

ولما أعز الله الإسلام وقوى شوكة
المسلمين ، قال الله تعالى في سورة القتال :
« فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ
الرِّقَابِ ، حَتَّى إِذَا أَتَخْتَمُوهُمْ فَشُدُّوا
الْوَتَاقَ ، فِيمَا مِمَّا بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى
تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا . » ومذهب
أبي حنيفة وأصحابه في حكم الأسرى
يختلف باختلاف هؤلاء الأسرى ؛ فإن
كان الأسرى من مشركي العرب ، فإما
أن يسلموا ، وإما أن يقتلوا ، ولا يجوز
استرقاقهم ، ولا افتداؤهم ، ولا المن عليهم ؛
وإن كانوا من أهل الكتاب أو من مشركي
غير العرب ، فللإمام فيهم واحدة من
ثلاث يختار أيها أصالح للمسلمين : إن شاء
قتل الرجال المقاتلين منهم ، وسبي النساء

والذراري ؛ وإن شاء استرقهم جميعاً
وجعلهم غنيمة للمسلمين ؛ وإن شاء من
عليهم وتركهم بعقد الذمة .

ومذهب الشافعي وأصحابه أن الأسرى
حكمهم واحد ، وللأمام فيهم أحد أربعة
على حسب ما يقتضيه نظره للمسلمين ؛
وهو القتل ، والاسترقاق ، والفداء
بأسارى المسلمين ، والمن .

ورأى عمر بن الخطاب في أسارى بدر
هو من آراء عديدة أيدها القرآن الكريم .
وعتاب الله لرسوله في أخذ الفدية دليل
على أن الرسول اجتهد في هذه الواقعة برأيه
وبمشورة أصحابه ، وأن الله سبحانه جعل
له أن يجتهد فيما لم ينزل به وحى ، وأنه سبحانه
لا يقره على اجتهداته إلا إذا أصاب فيه .
وفي غزوة بدر عبر بالغة ؛ من ناحية
القيادة الحكيمة ، والسياسة الدستورية
الرشيدة ، وإخلاص الجند ، وحرية
الرأى ، والتفانى في الجهاد ، وكل ما هو
مثلى أعلى في الحرب ومعاملة الأسرى ،
والرفق ، والعدل ، والرحمة ، والإنسانية .

مكارم المحتسب وشرطه

ذلك مع كثرة الاعمال وتشعبها ، وعظم
المسؤوليات وجسامتها ؛ فلا مفر له من
اتخاذ الأعوان ، واصطناع الولاة يوزع
عليهم الأعمال ، ولا مفر له أيضاً — حتى تهدأ
نفسه وتطمئن — من التأنق في الاختيار
وإحكام الرقابة . ومن أجل ذلك تراه قد
فتح عينيه يراقب بها عماله ، لا يرى
لأحدهم أن يضيع لحظة من وقته في غير
مصالح المسلمين . ومن خير الشواهد لذلك
ما جاء في المناقب لأبي الفرج بن الجوزي
عن ابن سعد ، قال : كان عمر بن الخطاب
استعمل النعمان بن نضلة على ميسان ، وكان
يقول الشعر ، فقال أبياتاً جاء في ختامها :

لعل أمير المؤمنين يسوءه

تنادمنا بالجوسق المتهدم

فلما بلغ عمرَ قوله قال : نعم والله إنه
ليسوءني ! من لقيه فليخبره أني قد عزلته !
فقدم عليه رجل من قومه فأخبره بعزله !

كان الخلفاء في صدر الإسلام يرون
أن أعمال الدولة يجب أن تؤدي على خير
وجه وأكمله ، حتى إن أحدهم كان ينتابه
الشك في كثير من الناس الذين يتعرضون
لطلب الولايات ، فيودلو أو تى من الوقت
والقوة ما يتمكن به أن يباشر أعمال
المسلمين جميعاً ، صيانة لها من النقص
والخيانة ؛ يتمثل ذلك في قول الخليفة
العظيم عمر بن الخطاب « لو أطق الأذان
مع الخليفة لأذنت » (في النهاية لابن الأثير :
الخليفة بالكسر والتشديد والقصر : الخلافة .
وهو وأمثاله من الأبنية كالترميما والدليل
مصدر يدل على معنى الكثرة) يريد به
كثرة اجتهاده في ضبط أمور الخلافة
وتصريف أعنتها .

فعمر كان يجب أن يتولى جميع
أعمال الدولة حتى الأذان لو أطاق ليضمن
أدائه بإخلاص وإحسان ؛ ولكن أنى له

فقدم على عمر فقال: والله ما أحب شيئاً مما قلتُ ولكن كنتُ امرأً شاعراً وجدتُ فضلاً من قولٍ فقلتُ فيه الشعر. فقال عمر: والله لا تعمل لي على عملٍ ما بقيتُ. وما لأريب فيه أن عمر رضى الله عنه كان يعلم أن عامله غير عاشق ولا مبتادِم، ولكنه أخذ به بتشاغله عن أمور المسلمين، وتضييع جزء من وقته وإن قل في غير ما أرسل لأجله. وهذه الدقة في مراقبة العمال كانت بعينها هي الدقة في اختيارهم قبل أن يولوا أعمالهم، فقد روى صاحب سراج الملوك أن عمر بن الخطاب كان يشاور أصحابه في كثير من الوقائع، حتى قال يوماً لهم: أشيروا عليّ ودلوني على رجل أستعمله في أمر دهمي، فقولوا ما عندكم فياني أريد رجلاً إذا كان في القوم وليس أميرهم كان كأنه أميرهم. وإذا كان أميرهم كان كأنه واحد منهم. فأشاروا عليه برجل رأوه مستكملاً هذه الصفات. والآثار في هذا كثيرة بضرب عنها صفحاً، خشية أن يعدل بنا الاستطراد عن الموضوع. والذي نريد أن نستخلصه هنا هو أن هذا المسلك في انتقاء العمال هو الذي أوحى إلى العلماء الذين كتبوا في الحسبة بعد عصور التدوين ما اشترطوه من الشروط في المحتسب، وقد

ذكر هذه الشروط بإسهاب عبد الرحمن ابن نصر الشيزري المتوفى حوالي سنة ٥٨٩ هـ ويؤخذ مما ساقه ذلك المؤلف الجليل وغيره من العلماء أن هذه الشروط تنقسم إلى قسمين: شروط ضرورية في المحتسب، وشروط كمالية. فأما الشروط الضرورية فهي أن يكون مسلماً حراً بالغاً عاقلاً عادلاً قادراً. ولا يخفى أن هذه الشروط للوجوب؛ فأما إمكان الاحتساب فلا يستدعي إلا العقل، حتى إن الصبي المميز له إنكار المنكر، وله أن يريق الخمر ويكسر الملاحى إن استبطاع؛ وإذا فعل ذلك فإن له به ثواباً، ولم يكن لأحد منعه بسبب أنه غير مكلف، لأن هذه قرينة وهو من أهلها، كالصلاة والإمامة فيها، وسائر القربات؛ وليس ذلك في حكم الولايات حتى يتوقف على التكليف. وكذلك العبد له إبطال المنكر، لأن هذا نوع ولاية يستفاد بمجرد الإيمان، كحاربة الشرك وإبطال أسبابه وسلب أسلحته؛ فكما أن لكل من الصبي والعبد أن يفعل ذلك بالمشرك، له أن يمنع عن الفسق؛ لأن الفسوق أخو الكفر، والمنع منهما استئصال لأسباب الفساد، فإذا جاز أحدهما لمسلم حاز الآخر. ويمكنك أن تعبر عن الشروط

المتقدمة التي اعتبرناها شروطاً للوجوب بالتكليف والعدالة والقدرة. وأصل هذه الشروط جميعها الإيمان؛ لأن الحسبة نصرة للدين، ولا يمكن لإنسان أن يكون من أهلها وهو جاحد لأصل الدين وعدو له. ولما في الولاية من السلطان وعز التحكيم، والكافر ذليل لا يستحق أن ينال عز التحكيم على المسلمين، قال سبحانه وتعالى «وَأَنْ يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلًا».

وكذلك يشترط في المحتسب أن يكون ذا رأي وصرامة وخشونة في الدين، عالماً بأحكام الشريعة، ليعلم ما يأمر به وينهى عنه؛ فإن الحسن ما حسنه الشارع الحكيم، والقبيح ما نهى عنه، لقوله صلى الله تعالى عليه وسلم: «ما استحسنه المسلمون فهو حسن» ولا مدخل للعقول في معرفة المعروف والمنكر إلا بكتاب الله تعالى وسنه نبيه محمد صلى الله تعالى عليه وسلم؛ ورب جاهل يستحسن بعقله ما قبحه الشارع ويرتكب المحذور وهو غير ملم بالعلم به؛ ولهذا المعنى كان طلب العلم فريضة على كل مسلم. واختلف العلماء في مبلغ علم المحتسب وهل يكون من أهل الاجتهاد أولاً، وإذا وجب أن يكون من أهل الاجتهاد فهل

يجب أن يكون من أهل الاجتهاد الشرعي أو العرفي؟ والذي ذهب إليه أبو سعيد الإصطخري أن له أن يحمل ما يحتسب فيه على رأيه واجتهاده. فعلى هذا يجب أن يكون المحتسب عالماً من أهل الاجتهاد في أحكام الدين، ليجتهد برأيه فيما اختلف فيه. وذهب غيره إلى أنه يكفي أن يكون من أهل الاجتهاد العرفي دون الشرعي. والفرق بين الاجتهادين: أن الاجتهاد الشرعي روعي فيه أصل ثبت حكمه بالشرع، والاجتهاد العرفي ما ثبت حكمه بالعرف، وهو سائغ في الدين، وله أصل في كتاب الله تعالى؛ قال سبحانه «خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ». ولكن هذا الخلاف على ما يظهر خاص بغير المنكرات المتفق عليها؛ أما هذه المنكرات فيجب أن يكون عالماً بأصولها علماً مستقي من أحكام الشارع، ولا يسوغ له أن يحيد عنها. أما الشروط الكمالية، أو بتعبير أدق: الصفات التي يجب أن تتوفر في المحتسب، فأولها: أن يعمل بما يعلم، ولا يكون قوله مخالفاً لفعله؛ فقد قال الله عز وجل في ذم علماء بني إسرائيل «وَأَتَّخِذُوا النَّاسَ بِالْأَعْيُنِ وَتَنْسَوْنَ أَنْفُسَكُمْ» وروى أنس بن مالك رضي الله عنه أن النبي صلى الله تعالى

عليه وسلم قال: رأيت ليلة أُسري بي رجلا
تقرض شفاههم بالمقاريض، فقلت: من
هؤلاء؟ قال: هؤلاء خطباء أمتك
الذين يأمرون الناس بالبر وينسون
أنفسهم». وقال الله عز وجل مخبرا عن

شعيب عليه السلام لما نهى قومه عن
بخس الموازين ونقص المكيال «وَمَا
أُرِيدُ أَنْ أَمْلَأَ لَفْظَكُمُ إِلَى مَا أَنَّهَا كُفُّ عَنْهُ، إِنْ
أُرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا اسْتَطَعْتُ». ولا يليق
أن يكون المحتسب كما قال ابن همام السلوى:
إذا نصبوا للقول قالوا فأحسنوا
ولكن حسن القول خالفه الفعل
وذموا لنا الدنيا وهم يرضعونها
أفأويق حتى ما يدر لها تُعْلُ
ومن هذه الصفات: إخلاصه فيما
يعظ به، فيقصد بقوله وفعله وجه الله تعالى
وطلب مرضاته، صريح النية لا يشوبه في
طويته رياء ولا مراء، ويحتسب في حسبه
منافسة الخلق ومفاخرة أبناء الجنس، لينشر
الله تعالى عليه رداء القبول وعلم التوفيق،
ويقتد له في القلوب مهابة وجلالا،
ومبادرة إلى قبول قوله بالسمع والطاعة؛
فقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم:
«من أَرْضَى الله بِسَخَطِ النَّاسِ كَفَاهُ شَرَّهُمْ،
وَمَنْ أَرْضَى النَّاسَ بِسَخَطِ اللَّهِ وَكَلَهُ إِلَيْهِمْ،

ومن أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله
فيما بينه وبين الناس، ومن أصلح سريره
أصلح الله علانيته، ومن عمل لآخرته
كفاه الله أمر دنياه».

وينبغي للمحتسب بعد قيامه
بالفرائض والواجبات، أن يكون مواظبا
على سنن رسول الله صلى الله تعالى عليه
وسلم، متحليا بالفضائل، متجنباً للردائل،
وأن يتخذ للولاية رونقا في زيه وهندامه،
فيلبس الثياب النظيفة التي لا يصحبها مبالغة
في الزينة، فإن ذلك أزيد في توقيره، وأنفى
للطعن في دينه. ومن الملمح في هذا الباب
ما حكى أن رجلا حضر عند السلطان
محمود بن سبكتكين الذي أسس الدولة
الغزنوية بأفغانستان سنة ٣٨٩ هـ وطلب
منه الحسبة بمدينة غزنة، إحدى مدن
أفغانستان، فنظر إليه السلطان فرأى
شاربه قد غطي فاه من طوله وأذياه تسحب
على الأرض، فقال له: يا شيخ اذهب
فاحتسب على نفسك ثم عد واطلب
الحسبة على الناس. وليكن من شيمته الرفق
ولين القول، وطلاقة الوجه، وسهولة
الأخلاق عند أمره للناس ونهيه، فإن ذلك
أبلغ في استمالة القلوب وإدراك المقصود؛
قال الله عز وجل لنبيه صلى الله تعالى

عليه وسلم: «فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لَنْتَ لَهُمْ
وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ
حَوْلِكَ»، ولأن الإفراط في الزجر ربما
أغرى بالمعصية، والتعنيف بالموعظة تجمع
الأسماع. وقد حكى أن رجلاً دخل على
المأمون فأمره بمعروف ونهاه عن منكر
وأغلظ له في القول، فقال له المأمون:
يا هذا إن الله تعالى أمر من هو خير منك
أن يلين القول لمن هو شر مني، فقال لموسى
وهارون «فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيْنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ
أَوْ يَخْشَى». ثم أعرض عنه ولم يلتفت إليه.
ولأن الإنسان قد ينال بالرفق ما لا ينال
بالتعنيف كما قال النبي صلى الله تعالى
عليه وسلم: «إن الله رفيق يحب كل رفيق،
يعطي على الرفق ما لا يعطي على العنف».
وليكن المحتسب متأنياً غير مبادر إلى
العقوبة، ولا يأخذ أحداً بأول ذنب يصدر
منه، ولا يعاقب بأول زلة تبدو، أو بادرة
تبدر؛ لأن العصمة في الخلق مفقودة فيما
سوى الأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم
أجمعين؛ ومن طلب الكمال من الخلق
والتزهر عن جميع الزلات والعيوب فقد
أتعب نفسه في طلب المحال، وصرف وقته
في غير سائغ ولا واقع. وعلى كل من يل
من أمور المسلمين شيئاً أن يسوهم، وأن

يعالج طباعهم حتى يسلس له قيادهم ويخف
عنادهم. أما الإرهاق والضرب على أيدي
الناس بالقوة والقهر بادية ذي بدء،
فذلك ليس من شيم المسلمين ولا مما يأمر
به الدين. فإذا عثر المحتسب مثلاً بمن
نقص المكيال أو بخس الميزان أو غش
بضاعة أو صناعة مما سذكركه فيما بعد، كان
من المستحسن أولاً أن يستتيبه عن معصيته
ويعظه ويخوفه وينذره العقوبة والتعزير،
فإذا ذهب ذلك كله سدى ولم يثمر ثمرة
المطلوبة فعاد صاحب الذنب إلى ما اقترف،
عزّره المحتسب على حسب ما يليق من
التعزير بقدر الجناية ولا يبلغ به الحد.
ومن الشروط في المحتسب: أن يكون
عفيفاً عما في أيدي الناس، متورعاً عن
قبول الهدية من التجار وأصحاب الصناعات
فإن ذلك رشوة في مغزاه وقد قال صلى الله
عليه وسلم «لعن الله الراشي والمرتشى».
ونهى عنها المولى جل شأنه في محكم
كتابه فقال جل علاه: «وَلَا تَأْكُلُوا
أَمْوَالَكُم بَيْنَكُم بِالْبَاطِلِ وَتُدْلُوا بِهَا
إِلَى الْحُكَّامِ لِنَأْكُلُوا فَرِيقًا مِنْ أَمْوَالِ
النَّاسِ بِالْإِثْمِ وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ»، ولأن
التعفف عما في أيدي الناس أصون
لعرضه، وأقوم لهيبته.

ومن الظاهر أن المحتسب لا يستطيع مشاركة الأسواق وحده بدون أعوان . وإن يتمكن من نحو المنكرات من غير إرهاب ؛ لذلك قال العلماء : إن المحتسب له أن يتخذ سوطا ودرة وشارة تميزه عن غيره ؛ فإن ذلك أربع لقلوب العامة وأشد خوفا ؛ وعليه أن يراقب أعوانه ، فإن اتهم أحد منهم بريئة صرفه عن عمله . ومن هذه الشروط والأوصاف تقررت مكانة المحتسب ، وارتفعت في النفوس منزلته ؛ فإن من يستجمع جميع الذي قدمنا جدير بالتبجيل : خليف بأن يُرهب ويخشى جانبه . وقد توالى العصور الإسلامية وهذه الولاية لها مكانتها وهيبتها في كل عصر ، وفي كل بلد من بلاد الإسلام ، حتى إن المحتسبين كانوا يقتحمون على العظماء مجالسهم وأنديتهم ، فيأمرونهم

بالمعروف وينهونهم عن المنكر . ذكروا أن أتابك طغتكين سلطان دمشق المتوفى سنة ٥٢٢ هـ طلب له محتسبا فذكر له رجل من أهل العلم ، فأمر بإحضاره ، فلما بصربه قال : إني وليتك أمر الحسبة على الناس : بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر . قال : إن كان الأمر كذلك فقم عن هذه الطراحة وارفع هذا المسند فإنهما حرير ، واخلع هذا الخاتم فإنه ذهب ، وقد قال النبي صلى الله تعالى عليه وسلم في الذهب والحزير : « إن هذين حرام على ذكور أمتي حل لإنائهما » ، فنهض السلطان عن طراحته وأمر برفع مسنده ، وخلع الخاتم من أصبعه ، وقال : قد ضمنت إليك النظر في أمر الشرطة . فما رأى الناس محتسبا أهيب منه . وناهيك برجل يستجيب السلطان لدعوته ، ويصغى إلى كلمته .



حكمة

قيل لعبد الله بن جعفر : إنك تعطى الكثير إذا سئلت ، وتضييق في القليل إذا عو ملت . فقال : أجود بمالي ، وأضن بعقلي ! .

القراء والمقربون

كما ذكر اثنين من رواة، هما عيسى الملقب
قالون، وعثمان الملقب بورش.

وسنقول كلمة في التعريف بهؤلاء
الأئمة وبراويين من رواة كل واحد منهم:
نافع:

هو ابن عبد الرحمن بن أبي نعيم
أو رويم، مولى جعونة بن شعوب الليثي
حليف حمزة بن عبد المطلب.

يرجع أصله إلى أصبهان، ولد في
حدود سنة سبعين هجرية، وتوفي على
الصحيح سنة تسع وستين ومائة. كان أسود
اللون حالكا، صبيح الوجه، حسن الخلق،
فيه دعاية. لازم القراءة والإقراء أكثر
من سبعين سنة، له سند متصل برسول الله
صلى الله عليه وسلم. فقد أخذ القراءة
عرضاً عن جماعة من تابعي أهل المدينة،
منهم عبد الرحمن بن هرمز الأعرج نزيل
الإسكندرية ودفيها، وقد مات بها سنة
سبع عشرة ومائة، وقيل تسع عشرة؛

كتبنا الكلمة الماضية تحت هذا
العنوان، وانتهى بنا القول فيها إلى أن أئمة
المقرئين الذين حفظت رواياتهم واشتهرت
في الأمصار سبعة، ذكرنا أسماءهم ومآله
فيهم الشاطبي إمام القراء في قصيدته
المعروفة بجزر الأمانى، وقد شرط على
نفسه أنه سيذكر مع كل إمام منهم اثنين
من رواة، قال:

وسوف تراهم واحدا بعد واحد
مع اثنين من أصحابه متمثلا
تخيّرهم نقّادهم كل بارع
وليس على قرآنه متأكلا
ثم بدأهم بالإمام نافع مع اثنين من
رواة:

فأما الكريم السر في الطيب نافع
فذاك الذي اختار المدينة منزلا
وقالون عيسى ثم عثمان ورشهم
بصحبه المجّد الرفيع تأثلا
فذكر نافعاً وأنه كان يقيم في المدينة،

وقبره معروف إلى اليوم بالإسكندرية ؛
كما أخذ عن أبي جعفر القاري وغيرهما ،
حتى قيل إنه أخذ عن سبعين من التابعين
منهم محمد بن شهاب الزهري .

وكان الأعرج قد قرأ على عبد الله
ابن عباس وأبي هريرة ، وقرأ ابن عباس
وأبو هريرة على أبي بن كعب ، وقرأ
ابن عباس أيضاً على زيد بن ثابت ، وقرأ
زيد بن ثابت وأبي على رسول الله صلى
الله عليه وسلم . وعلى الجملة فقراءة نافع
متواترة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم
وبعد أن حفظ القرآن بسنده أقام في
مدينة الرسول يقرئ الناس القرآن .
أخذه عنه كثير من المسلمين ، انتشروا
في البلاد وملاؤها علماً وفضلاً . ثم طويلاً ،
ومكث زمناً يقرئ القرآن حتى انتهت
إليه رئاسة الإقراء بالمدينة وأمه الناس بها ،
كما كانوا يقصدون المدينة طلباً للحديث
على الإمام مالك .

شهادة العلماء له : قال ابن مجاهد : كان
الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين
بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم :
نافع ؛ كان عالماً بوجوه القراءات ، متبعاً
آثار الأئمة الماضين في بلده . وقال سعيد
ابن منصور : سمعت مالك بن أنس يقول :
قراءة أهل المدينة سنة . قيل له : قراءة

نافع ؟ قال : نعم . وقال عبد الله بن أحمد بن
حنبل : سألت أبي أي القراءة أحب إليك ؟
قال : قراءة أهل المدينة ، قلت : فإن لم يكن ؟
قال : قراءة عاصم . وقال الليث بن سعد
عالم مصر : حججت سنة ثلاث عشرة
ومائة وإمام الناس في القراءة بالمدينة
نافع . وكان الإمام مالك يحمله ويرجع إليه ،
حتى سئل مرة عن البسمة فقال : سلوا
عن كل علم أهله ، فنافع إمام الناس
في القراءة .

وكما كان من رواة القراءات كان
من رواة الحديث ، إلا أنه لم يشتهر فيه ؛
فلذلك لم يخرج له شيء في الكتب الستة .
رواة الإمام نافع : علمنا من تاريخ
حياته أنه عمر طويلاً ، وأنه كان مقصد
الناس ، فرواه كثيرون ، روى القراءة عنه
عرضاً وسماعاً إسماعيل بن جعفر ، وعيسى
ابن وردان ، ومالك بن أنس ، وهم من أقرانه .
كما روى عنه عيسى بن مينا الملقب قالون ،
وسعد بن إبراهيم ، ومحمد بن عمر الواقدي ،
وغيرهم من أهل المدينة ، وموسى بن طارق
وعبد الملك بن قريب الأصمعي ، وأبو عمرو
ابن العلاء . وروى عنه من أهل مصر
عثمان بن سعيد الملقب بورش ، والليث
ابن سعد ، وأشهب بن عبد العزيز وغيرهم .
وروى عنه من أهل الشام عتبة بن حماد

الشامي، وأبو مهر الدمشقي، وغيرهم. هؤلاء العلماء قرءوا على رواية الإمام نافع، ولكن الذي نصب نفسه للإقراء والتعليم منهم قليل، اشتهر من أصحاب نافع اثنان: قالون، وورش.

قالون:

هو عيسى بن مينا بن وردان مولى بنى زهرة، لازم المدينة مع نافع، أقام فيها مع شيخه حتى توفي، ثم لازم الإقراء بعده، وهو الذي لقبه قالون. ومعنى هذه الكلمة: جيد باللغة الرومية، غير أنهم ينطقون القاف كافا ولا يظهر النون، وإنما لقبه بقالون وهي كلمة رومية، رجوعا به إلى أصله، لأن أصوله من الروم، كان جد جده عبد الله من سبي الروم أيام عمر ابن الخطاب، قدم به من أسره إلى عمر في المدينة، فباعه، فاشتراه بعض الأنصار. ولكن كلمة مينا تفيد أنه من أصل مصري لأن مينا من الأسماء المصرية الصحيحة، ومصر كانت تبع الروم في ذلك الوقت. ولما قالون بالمدينة سنة عشرين ومائة، وقرأ على نافع سنة خمسين ومائة. قيل له: كم قرأت على نافع؟ قال: مالا أحصيه. وقد أجازته شيخه بالإقراء في حياته. نقل عنه أنه قال: قال لي نافع: كم تقرأ على؟ اجلس إلى

أسطوانة حتى أرسل إليك من يقرأ عليك. وتوفي بالمدينة سنة عشرين ومائتين، بعد أن صار إماما بعد شيخه في الإقراء. وكان به صمم لا يسمع الجوق، فإذا قرئ عليه القرآن يسمعه.

ورش:

أما الراوى الثانى من رواة نافع الذى اشتهر بالإقراء، فهو ورش، واسمه أبو سعيد عثمان بن سعيد المصرى القرشى مولاهم القبطى، ولد بمصر سنة عشرين ومائة، ورحل إلى المدينة المنورة ليقرأ على نافع سنة خمس وخمسين ومائة، فعرض عليه القرآن عدة مرات، ثم عاد إلى مصر، ولم يلزم نافعا كما لازمه قالون، فروى عن غيره: مثل عبد الله بن عامر الكزيزى وغيره، وله اختيار خالف فيه نافعا، إنما كان لا يقرئ إلا بقراءة نافع.

سبب تلقيبه بورش:

قيل فى سبب ذلك: إن كان أشقر أزرق أبيض اللون، ذا دكنة، هو إلى السمن أقرب منه إلى النحافة، فلقبه نافع بورشان لأنه كان على قصره يلبس ثيابا قصارا، وكان إذا مشى بدت رجلاه مع اختلاف ألوانه، فكان نافع يقول له: هات ياورشان أقرأ ياورشان، وأين الورشان؟ ثم خفف فقيل ورش. والورشان: طائر معروف.

وقدما في تاريخ نافع أنه كانت فيه دعاية ،
ولزمه هذا اللقب حتى صار لا يعرف إلا
به ، ولم يكن فيما قيل أحب إليه منه ، يقول :
سماني به أستاذي . وكان ورش جيد القراءة
حسن الصوت ، إذا قرأ يهز ويمد ويشدد
ويبين الإعراب ، لا يمل سامعه . انتهت إليه
رياسة المقرئين بمصر . قال أبو يعقوب
الأزرقي : إن ورشا تعمق في النحو وأحكمه
واتخذ لنفسه مقراً يسمى مقراً ورش .
ومع تخصصه بالقراءة والإقراء كان كاتباً
للقاضى أبى طاهر عبد الحكم بن محمد
الأنصارى . توفي بمصر سنة سبع وتسعين
ومائة عن سبع وثمانين سنة . وقبره
معروف بالقرافة الصغرى إلى اليوم .
كان رحمه الله متقللاً في دنياه ؛ حكى
عنه أن لصاً جاء إلى بيته ليأخذ ما فيه ،
فوجد الباب مغلقاً بالحديد فلم يقدر على
فتحه ، فقال اللص في نفسه : هذا البيت فيه
أمتعة كثيرة ، فجاء بنجار وأعطاه درهما لم
يكن يملك غيره وقال : افتح هذا الباب ، ففتح
النجار الباب ، فدخل اللص الدار فلم يجد
فيها غير إبريق وجرة مكسورة . قال اللص
جئت أسرق فسرقتي ! فبينما هو كذلك
إذ جاء ورش ودخل الدار ووجد اللص
فقال له : من أدخلك هاهنا ؟ فقال له : أنت

نصبت على الناس بهذا الغلق الحديد ،
وظننت أن في بيتك شيئاً آخذه ، وحكى
له القصة . فدفع له ورش الدرهم وقال له :
هل لك في مصاحبتى ؟ قال : نعم . ثم حضرت
تلاميذه فقص عليهم القصة ، فدفعوا إليه
مالاً ، وبقي مع ورش يخدمه حتى مات ،
ودفن تحت رجله ؛ لازمه في الحياة
وبعد الوفاة .

الإمام الثانى :

أما الإمام الثانى من أئمة القراءة .
والإقراء : فهو ابن كثير . قال الإمام
الشاطبى مشيراً إليه وإلى راويه :
ومكة عبد الله فيها مقامه
هو ابن كثير كثر القوم معتلاً
روى أحمد البزى له ومحمد
على سند وهو الملقب قنبلاً
فالإمام الثانى هو عبد الله بن كثير
المسكى ، مولى عمر بن علقمة ، تابعى ، أصله من
أبناء فارس ، كان طويلاً جسيماً أسمر أشهل
يخضب بالحناء في كبره ؛ ولد بمكة سنة خمس
وأربعين في أيام معاوية ، ويقال له الدارى
لأنه كان عطاراً ، والعطار يسميه العرب
دارياً ، نسبة إلى دارين موضع بالبحرين
يجلب منه الطيب . وقيل غير ذلك في
سبب هذه النسبة .

أخذ القراءة عرضاً عن عبد الله بن السائب المخزومي الصحابي، وعرضاً أيضاً عن مجاهد بن جبر، ودرباس مولى عبد الله بن عباس وغيرهم، وقرأ عبد الله بن السائب على أبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وهما قرآ على رسول الله، كما قرأ على غيرهم. وبعد أن قرأ القرآن في مكة رحل إلى العراق، فأقام فيه زمناً، ثم عاد إلى مكة، ولازم بها الإقراء حتى صار هو المشار إليه فيها. عرف له العلماء فضله. قال الأصمعي: قلت لأبي عمرو: قرأت على ابن كثير؟ قال: نعم ختمت على ابن كثير بعد ما ختمت على مجاهد وكان أعلم بالعربية من مجاهد، كما كان فصيحاً بليغاً مفوهاً. قال ابن مجاهد: ولم يزل عبد الله هو الإمام المجتمع عليه بالقراءة بمكة حتى مات سنة عشرين ومائة. قال سفيان بن عيينة: حضرت جنازة ابن كثير الداري سنة عشرين ومائة.

لازم الإقراء زمناً طويلاً بمكة، وقصده كثير من الناس، خصوصاً في موسم الحج، فروى عنه كثير، ولكن أشهر رواة اثنين لم يرويا عنه رأساً بل بواسطة: هما البزّي، وقنبل.

محمد بن عبد الله بن القاسم بن نافع بن أبي بزة، وإليه ينسب، لم يقرأ على ابن كثير مباشرة بل قرأ على عكرمة بن سليمان على اسماعيل، وعلى شبل بن عباد على ابن كثير. وأبو بزة الذي ينسب إليه البزّي اسمه بشار، فارسي من أهل همدان، أسلم على يد السائب بن أبي السائب المخزومي، ولد سنة سبعين ومائة، وتوفي سنة خمسين ومائتين عن ثمانين سنة. والبزّي هو الذي روى حديث التكبير مرفوعاً عند قراءة القرآن من آخر الضحى، وقد خرج هذا الحديث الحاكم أبو عبد الله في المستدرک ولم يخرج به البخاري ومسلم. كان إماماً في القراءة محققاً ضابطاً متقناً لها متمكناً منها، انتهت إليه مشيخة القراء بمكة، وكان مؤذناً بالمسجد الحرام.

أما الراوي الثاني: فهو محمد بن

عبد الرحمن بن خالد بن محمد بن سعيد المخزومي بالولاء، الملقب بقنبل؛ ولد سنة خمس وتسعين ومائة، لم يأخذ عن ابن كثير مباشرة كسابقه، بل قرأ على أحمد بن محمد ابن عون، وهو الذي خلفه في القيام بالإقراء بمكة، وروى القراءة عن البزّي أيضاً. اختلف في سبب تلقيه بقنبل؛

أما البزّي: فهو أبو الحسن أحمد بن قيل إنه من بيت بمكة يقال لهم القنابلة قديمة - تلجرام

وقيل لاستعماله دواء يقال له قنبل معروف عند الصيادلة لداء كان به فلما أكثر منه عرف به، وحذفت الياء تخفيفا. انتهت إليه رئاسة الإقراء بالحجاز، ورحل إليه الناس من الأقطار، وقد عهد إليه بولاية الشرطة بمكة لأنه كان لا يتولاها إلا رجل من أهل الفضل والخير والصلاح لما يأتيه من الحدود والأحكام فولوها لقبيل لعلمه وفضله. قال الذهبي: كان ذلك في وسط عمره، فمادت سيرته، ثم طعن وشاخ، وقطع الإقراء قبل موته بسبع سنين. مات سنة ٢٩١ هـ عن ست وتسعين سنة. هذان إمامان من أئمة الإقراء ورواة القرآن، عرفناهما ومع كل منهما اثنان من رواة الذين بقيت ذكراهم في الأمصار إلى اليوم. وهما ورواتهما من الموالى الذين قاموا بقسط عظيم في بناء الصرح الإسلامي. رحمهم الله جميعا. م.



مخالفة الأجانب

أخرج أبو داود في سننه أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يصوم يوم السبت والأحد، يتحرى ذلك ويقول: «إنهما يوما عيد الكفار وأنا أحب أن أخالفهم». وأخرج الإمام أحمد والنسائي أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مات حتى كان أكثر صيامه السبت والأحد.

فضل المسجد على الثقافة الإسلامية

ثم تُقام فيه أيضاً صلاة الجمعة كل أسبوع ، ثم صلاة العيد مرتين في العام . وهذه الاجتماعات إنما كانت تُقام في أول عهدها في مسجدرئيسي هو المسجد الجامع الذي يجتمع فيه أهل كل بلد ؛ فلما اتسعت الأمصار وازدحم الناس ، جاز عند بعض الأئمة أن تتعدد الجمعة . وكان في عهد عمر رضى الله عنه في كل مصر واحد جامع تُقام فيه الجمعة . وفي صلاة الجماعة تدريب على النظام ، وتعويد على القتال صفوفاً . قال الإمام أحمد : إن بلالا كان يسوى الصفوف ويضرب عراقيهم بالدرة . على أن ذكر الله في المساجد لم يكن مقتصراً على وقت أداء الصلاة فحسب ، بل هو موطن للذكر في كل الأوقات . ولما قديم وفد ثقيف على رسول الله صلى الله عليه وسلم بعد غزوة تبوك سنة تسع ، ضرب لهم قبة في ناحية المسجد ليسمعوا القرآن ، ويروا الناس إذا صلوا ، فيتأثروا بقرائتهم ، ويحاكوه في صلاتهم . وهذا

سنقصر بحثنا في هذا المقال على صدر الإسلام ؛ لأننا لو أردنا التحدث عن فضل المسجد في كل العصور لاقتضانا ذلك مجلدات ، وإلا فأين مساجد البصرة والكوفة ، وجوامع بغداد وقرطبة والقيروان والزيتونة ، وأين المسجد الأقصى ، وأروقة الجامع الأزهر ، بل أين مساجد القاهرة وجوامعها ؟

إن الغرض الأول الذي من أجله أنشئ المسجد هو عبادة الله تعالى : « فِي بُيُوتِ أَذْنِ اللَّهِ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ » . ثم استخدم ليكون منتدى لجماعة المسلمين ، تقوى به رابطتهم ، وتتوثق فيه صلاتهم ، فيتشاورون فيما يهمهم من أمور دينهم ، ويتباحثون فيما يعود بالخير على جماعتهم ؛ فكانت تُقام فيه صلاة الجماعة خمس مرات في اليوم ، وكان صلى الله عليه وسلم يباشرها بنفسه ، حتى إنه هم أن يحرق الدور على الذين لم يشهدوا معه الجماعات ، كما في الصحيحين .

خير أسلوب في التربية الخلقية ، ونشر الثقافة الدينية .

ولما للمسجد من هذا الأثر الخطير في توثيق عرى الأخوة بين جماعة المسلمين ، والتوحيد في ميولهم ، والتقريب بين غنيهم وفقيرهم ، وإيلاف قلوبهم وضعيفهم ، حدثت حادثة مسجد الضرار .

وذلك أن اثني عشر رجلاً من المنافقين اتخذوا ذلك المسجد حسداً وإضراراً بالمسلمين ، وتفريقاً لكلماتهم ، واتخاذهم مكاناً للطعن على رسول الله فيه ، لتختلف الكلمة ، وتتشقق عصا الجماعة ؛ فهو أشبه شيء بناد للتآمر والإضرار .

طلبوا من رسول الله صلوات الله عليه أن يفتحه بالصلاة فيه ، فهم صلى الله عليه وسلم أن يجيبهم إلى طلبهم ، فأنزل الله تعالى : « وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًا بَيْنَ الْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِمَنْ حَارَبَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ مِنْ قَبْلُ » ، إلى قوله تعالى : « لَا يَزَالُ بُنْيَانُهُمُ الَّذِي بَنَوْا رِيبَةً فِي قُلُوبِهِمْ إِلَّا أَنْ تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ » ، والله عليم حكيم .

فأمر عليه السلام بتحريقه وهدمه ، وأن يُتخذ محلا يلقى فيه الكناس والجيف .

ولذلك قال أصحاب مالك : لا يجوز أن يبنى مسجد إلى جنب مسجد ، لئلا يضر بأهل المسجد الأول ، ويجب هدمه والمنع من بنائه إلا أن تكون المحلة كبيرة ، ولا يكتفى أهلها بمسجد واحد فيبني الثاني .

قال ابن رشد : من بنى مسجداً قرب آخر ليضربه أهل المسجد الأول ويفرق به جماعتهم فهو من أعظم الضرر ، لأن الإضرار فيما يتعلق بالدين أشد مما يتعلق بالنفس والمال ، ولا سيما في المسجد الذي يتخذ للصلاة ، فإن ثبت على بانيه أنه قصد به الإضرار وتفريق الجماعة ، لا وجهاً من أوجه البر ، وجب أن يُحرق ويُهدم ويُترك مطروحاً للأذبال ، كما فعل رسول الله صلى الله عليه وسلم بمسجد الضرار ؛ وإن ثبت أن إقراره مضر بأهل المسجد الأول ولم يثبت على بانيه أنه قصد ذلك ، وادعى أنه أراد القرية ، لم يهدم ؛ ولا يصلى فيه إلا أن يحتاج إلى الصلاة فيه بأن يكثر أهل الموضع أو يهدم المسجد الأول .

وكان المسجد يتخذ مركزاً للثقافة الإسلامية في أوسع معانيها وبتعدد أساليبها . وذلك أمر طبيعي ؛ لأن القراءة ولو أنها عرفت في الجزيرة العربية قبل الإسلام

فقد ذكر البلاذري في فصله المسمى بأمر الخط^(١) : « دخل الإسلام وفي قریش سبعة عشر رجلاً كلهم يكتب » .

غير أن هذا لم يكن علماً حتى ظهور القرآن . فليست علاقة القرآن بالقراءة علاقة اشتقاق فقط بل هي علاقة تاريخية ؛ لأن تطور القراءة والتعليم والتربية راجع إلى القرآن فهناك تسلسل وارتباط لا يستهان بهما .

فالباعث الأكبر إذن على نشر العلم كان دينياً ، ولهذا كان طبيعياً أن تكون أما كن العبادة مدارس . وبيوت الله معاهده ، وأن يقوم رجال الدين بمهمة التعليم في حلقات ومجالس . فإن المدارس بمعناها الفنية لم تُعرف إلا في القرن الرابع الهجري .

وهنا مقام تصحيح خطأ شائع ، ذكره جورجى زيدان في بحثه عن المدارس في الإسلام^(٢) حيث قال :

« قد أجمع المؤرخون المسلمون تقريباً على أن أول من بنى المدارس في الإسلام نظام الملك وزير ملك شاه السلطان السلجوقي في أواسط القرن الخامس الهجري » .

مع أن ياقوت يذكر في معجمه^(١) « أن أحمد بن عبد الملك بن أحمد الذى عاش بين سنة (٣٨٨ - ٤٧٠ هـ) كان يؤذن على منارة المدرسة البيهقية » . ويقول السبكي^(٢) :

« وشيخنا الذهبي زعم أن نظام الملك أول من بنى المدارس ، وليس الأمر كذلك ؛ فقد كانت المدرسة البيهقية بنيسابور قبل أن يولد نظام الملك ، والمدرسة السعدية بنيسابور أيضاً بناها الأمير نصر بن سبكتكين . ويغلب على ظنى أن نظام الملك أول من قدر المعاليم للطلبة ؛ فإنه لم يتضح لى هل كانت المدارس قبله بمعاليم للطلبة أولاً . والأظهر أنه لم يكن لهم معلوم » .

ذكر أبو الفرج ابن الجوزى في كتابه مشكل الصحيحين : أن عبادة بن الصامت كان يعلم أهل الصفة^(٣) الكتابة والقرآن . ولعل هـ — ذا كما تقول دائرة المعارف الإسلامية هو الأصل في اتخاذ مساكن للطلبة في المدارس ؛ لأن المساجد القديمة

(١) ١/٢١٩ / معجم الأدباء .

(٢) ٣/١٣٧ / طبقات الشافعية .

(٣) أهل الصفة هم قراء المهاجرين ومن لم يكن

له منهم منزل يسكنه فكانوا يأوون إلى موضع مظلل في مسجد الرسول يسكنونه .

(١) ٤٧١ فتح البلدان .

(٢) ٣/١٩٣ تاريخ التمدن الإسلامى .

كانت تحوى مساكن لهم ، والمدرسة .
إنما كانت على صورة المسجد مع زيادة
الأدوات اللازمة للتعليم والطلبة .

وذكر الحافظ الهيثمي في مجمع الزوائد
عن قرّة أن رسول الله صلى الله عليه
وسلم كان إذا جلس جلس إليه أصحابه
حلقاً حلقاً .

وقال أنس : كان الصحابة إذا صلّوا
الغداة قعدوا حلقاً حلقاً يقرءون القرآن
ويتعلمون الفرائض والسنن .

وقد بوّب البخارى في الصحيح
« باب الحلق والجلوس في المسجد » أى
جواز ذلك فيه لتعلم العلم وقراءة القرآن
والذكر ونحو ذلك ؛ وأما التحلق فيه في
أمور الدنيا فغير جائز ، وعليه يحمل
حديث مسلم عن جابر « دخل رسول الله
صلى الله عليه وسلم المسجد وهم حلق
فقال : ما لي أراكم عزين » قال ابن حجر :
إنما أنكر تحلقهم على ما لا فائدة فيه ولا
منفعة ، بخلاف تحلقهم حوله ، فإنما كان
لسماع العلم .

عن أبي معاوية الكندى قال : قدمت
على عمر بالشام فسأنى عن الناس فقال :
لعل الرجل يدخل المسجد كالبعير النافر ،
فإن رأى مجلس قومه ورأى من يعرفهم

جلس إليهم . فقلت لا ، ولكنها مجالس
شتى يجلسون فيتعلمون الخير ويذكرونه .
قال : إن تزالوا بخير ما دمت كذلك .

أخرج ابن ماجه في سننه عن عبد الله
ابن عمرو ، قال : خرج رسول الله صلى الله
عليه وسلم ذات يوم من بعض حجّره ،
فدخل المسجد ، فإذا هو بحلقتين : إحداهما
يقرءون القرآن ويدعون الله ، والأخرى
يتعلمون ويعلمون ، فقال النبي صلى الله
عليه وسلم « كل على خير ؛ هؤلاء يقرءون
القرآن ويدعون الله ، فإن شاء أعطاهم ،
وإن شاء منعهم ؛ وهؤلاء يتعلمون ويعلمون
وإنما بُعثت معلماً » فجلس معهم .

لم يكن المسجد وقفا على الثقافة
الدينية ، وقصر آعلى التعاليم الإسلامية ،
بل كان ميداناً للثقافة الأدبية والمراتة
الحربية .

أنشد كعب بن زهير رسول الله
صلى الله عليه وسلم قصيدته « بانت سعاد »
في مسجده بحضرته وحضرة أصحابه وتوسل
بها ، فوصل إلى العفو عن عقابه ، وحقن
دمه بعد الإهدار ، وأجازه صلى الله
عليه وسلم بمائة من الإبل ، وخلع عليه بردته .
وكان حسان بن ثابت ينشد رسول

الله الشعر في المسجد فيسمعه منه ويثنى

عليه . فإن الأشعار إذا كانت مما تشتمل
على الثناء على الله عز وجل أو على رسوله
صلى الله عليه وسلم أو الذب عنهما كما
كان شعر حسان ، أو كانت تتضمن
الحضَّ على الخير والوعظ والزهد في
الدنيا والتقلل منها ، فانشادها في المساجد
حسن .

وفي الصحيحين عن عائشة : « جاء حبشٌ
بجراهم يلعبون في يوم عيد في المسجد ،
فدعاني صلى الله عليه وسلم فوضعت رأسي
على منكبه ، فجعلت أنظر إلى لعبهم حتى
كنت أنا الذي أنصرف عن النظر إليهم » .
وقال الحافظ ابن حجر « إن لعب
الحبشة بجراهم كان للتمرين على الحرب
والتدريب على القتال » .

وكان صلى الله عليه وسلم يحث أصحابه
على تعلم الرمي بالنبال في المسجد ليكونوا
دائماً على استعداد لعدوهم ويتمهروا في
آلات حربهم . فلو كان فعل الحبشة مجرد
لعب لنهاهم عليه السلام عن ذلك .

وروى أحمد في مسنده عن ناس من
الأنصار قالوا : كنا نصلي مع رسول الله
صلى الله عليه وسلم المغرب ثم نرجع
فنتراحم حتى نأتى ديارنا فما يخفى علينا
مواقع سهامنا .

وقال ابن أبي جرة « روى عنه
صلى الله عليه وسلم أنه مر بموضع كان
بعض الصحابة يتعلمون فيه الرمي ،
ففرغ نعله ومشى فيه ، ثم قال : روضة من
رياض الجنة » معناه أن العمل الذي كان
يعمل فيه يوجب روضة من رياض الجنة .

هذا وكانت المساجد تُتخذ دوراً
لل قضاء ، وأما كن إقامة العدل ، ومواطن
لتنفيذ العقوبات ، حتى يشهدها القوي
والضعيف ، والغني والفقير ، والصغير
والكبير . وفي هذا من التقويم
الحلقي ما فيه .

عن ابن عباس : بينما رسول الله صلى
الله عليه وسلم يخطب يوم الجمعة إذ جاءه
رجل فقال : أقم على الحدّ .

وقال في المدونة القضاء في المسجد
من الأمر القديم ، وهو الحق والصواب .
قال ابن أبي زيد : واحتج بعض
أصحابنا في قضاء المسجد بقوله تعالى :
وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَضَمِ إِذْ تَسَوَّرُوا
الْمِحْرَابَ ، فدل على أن حكم الحكومة
وقعت عنده في مسجده .

وبعد : فما الجامعات إلا وليدة
الجامع ، ولا المدارس إلا سليل المسجد .

التشريع الجنائي الإسلامي مقارناً بالقانون الوضعي

٢

في الجريمة

الأركان العامة للجريمة :

فهو في عجزه عن فهم التفاصيل كالجماد والبهيمة في العجز عن فهم أصل الخطاب ؛ ومن ثم يتعذر تكليفه ؛ لأن المقصود من التكليف كما يتوقف على فهم أصل الخطاب ، فهو يتوقف أيضاً على فهم تفاصيله^(١) ..

ويتبين مما سبق أن للجريمة بصفة عامة أركاناً لا بد من توفرها ، وهذه الأركان ثلاثة :

١- أن يكون هناك نص يحظر الجريمة ويعاقب عليها ؛ وهو ما نسميه اليوم في اصطلاحنا القانوني بالركن الشرعي للجريمة .

٢- إتيان العمل المكون للجريمة سواء كان فعلاً أو امتناعاً ؛ وهذا ما نسميه في

قلنا في تعريف الجريمة إن الجرائم محظورات شرعية زجر الله عنها بحد أو بتعزير ، وإن المحظورات هي إما إتيان فعل منهى عنه أو ترك فعل مأمور به ، وقلنا إن المحظورات وصفت بأنها شرعية لأنها يجب أن تكون محظورة بنصوص الشريعة ، وأن الفعل والترك لا يعتبر بذاته جريمة إلا إذا كان معاقباً عليه .

ولما كانت الأوامر والنواهي تكاليف شرعية ، فإنها لا توجه إلا لكل عاقل فاهم التكليف ، إذ التكليف خطاب ، وخطاب من لا عقل له ولا فهم محال ، كالجماد والبهيمة ؛ ومن استطاع أن يفهم أصل الخطاب ولا يفهم تفاصيله ، من كونه أمراً أو نهياً ، ومقتضياً للشواب والعقاب ، كالمجنون والصبي الذي لا يميز ،

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي الجزء الأول ص ٢١٥ - المستصفى للفرز إلى الجزء الأول ص ٨٣

الركن الشرعى للجريمة

توجب الشريعة لاعتبار الفعل جريمة أن يكون هناك نص يحرم هذا الفعل ويعاقب على إتيانه ؛ وهذا هو ما نسميه اليوم بالركن الشرعى للجريمة .
ووجود النص المحرم للفعل المعاقب عليه لا يكفي بذاته للعقاب على كل فعل وقع فى أى مكان ومن أى شخص ؛ وإنما يشترط للعقاب على الفعل المحرم أن يكون النص الذى حرّمه نافذ المفعول وقت اقتراف الفعل ، وأن يكون سارياً على المكان الذى اقترف فيه الفعل ، وعلى الشخص الذى اقترفه ؛ فإذا تخلف شرط من هذه الشروط ، امتنع العقاب على الفعل المحرم .

فالكلام على الركن الشرعى يقتضى بحث المواضع الآتية ، وسنخصص لكل منها فصلاً خاصاً .

(أ) النصوص المقررة للجرائم والعقوبات أى الأحكام الجنائية الشرعية ؛
(ب) سريان النصوص الجنائية على الزمان ؛

(ج) سريان النصوص الجنائية على المكان .

اصطلاحنا القانونى بالركن المادى للجريمة ٣ - أن يكون الجانى مكلفاً أى مسئولاً عن الجريمة ؛ وهذا ما نسميه اليوم بالركن الأدبى للجريمة .

هذه هى الأركان العامة التى يجب توفرها بصفة عامة فى كل جريمة ، ولكن توفر هذه الأركان العامة لا يغنى عن وجوب توفر الأركان الخاصة لكل جريمة على حدة حتى يمكن العقاب عليها ؛ كركن الأخذ خفية فى السرقة ، وركن الوطء فى الزنا ، وغير ذلك من الأركان الخاصة التى تقوم عليها الجرائم المعينة بذواتها .

والفرق بين أركان الجريمة العامة وأركانها الخاصة : أن الأركان العامة واحدة فى كل جريمة ، بينما الأركان الخاصة تختلف فى عددها ونوعها باختلاف الجريمة . وقد جرى الفقهاء الإسلاميون على بحث أركان الجريمة العامة وأركانها الخاصة بمناسبة بحث كل جريمة ، ولكننا رأينا مجازاة للتطور الحديث فى التأليف أن نبحث الأركان العامة فى القسم الجنائى العام ، وأن نترك بحث الأركان الخاصة للقسم الجنائى الخاص الذى يتناول الكلام على الجرائم واحدة بعد واحدة بصفة خاصة .

(٥) سريان النصوص الجنائية على الأشخاص .

(١) النصوص المقررة للجرائم والعقوبات والأحكام الجنائية الشرعية . الكلام على الأحكام الجنائية الشرعية يقتضى الكلام على :

أولاً : الأحكام وأثرها في الجريمة والعقوبة .

ثانياً : أدلة الأحكام الجنائية الشرعية أى مصادر التشريع الجنائى .

ثالثاً : تفسير الأحكام الجنائية .

رابعاً : تعارض الأحكام أى النصوص ونسخها وبطلانها خامساً : علاقة الأحكام الشرعية بالأحكام القانونية .

أولاً - الأحكام الجنائية الشرعية وأثرها في الجريمة والعقوبة :

تمهيد : يقسم الفقهاء الأحكام الشرعية أى النصوص إلى نوعين : أحكام تكليفية ، وأحكام وضعية .

فالحكم التكليفي هو ما اقتضى طلب فعل من المكلف ، أو كفه عن فعل ، أو تخيره بين فعل والكف عنه^(١) .

ويسمى هذا الحكم تكليفيًا لأنه يتضمن إلزام المكلف إتيان فعل ، مثل قوله تعالى : « إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الْأَمَانَاتِ إِلَىٰ أَهْلِهَا وَإِذَا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النَّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ »^(٢) ؛ أو إلزام المكلف

الكف عن فعل ، مثل قوله تعالى : « وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ »^(٣) وقوله « وَلَا تَقْرُبُوا الزِّنَا »^(٤) أو تخيير المكلف في إتيان الفعل والكف عنه ، مثل قوله تعالى « وَإِذَا حَلَلْتُمْ فَاصْطَادُوا »^(٥) وقوله « وَمَنْ قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لَوِئْلِهِ سُلْطَانًا »^(٦) .

والحكم الوضعي هو ما اقتضى جعل شئ سبباً لشيء ، أو شرطاً له ، أو مانعاً منه ، وسمى الحكم وضعياً لأنه يقتضى :

١ - وضع أسباب لمسيئات كقوله تعالى « وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا »^(٧) وقوله « الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ »^(٨) فقد اقتضى الحكم الأول جعل السرقة سبباً في قطع يد السارق ، واقتضى الحكم الثاني جعل الزنا سبباً لجلد الزانى .

(١) النساء : ٥٨ .

(٢) الاسراء : ٣٣ ، ٣٢ .

(٣) المائدة : ٢ . (٤) الاسراء : ٣٣ .

(٥) المائدة : ٣٨ . (٦) النور : ٢ .

(١) الإحكام في أصول الأحكام للآمدى الجزء الأول ص ١٣٥ وما بعدها - المستصفى للغزالي الجزء الأول ص ٦٥ وما بعدها - أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٧٤ .

٢ - أو يقتضى وضع شروط لمشروطات كقوله تعالى «لَوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ، فَإِذْ لَمْ يَأْتُوا بِالشَّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ هُمُ الْكَاذِبُونَ»^(١) فهذا الحكم يقتضى اشتراط أربعة شهود لإثبات جريمة الزنا. ومثل قول الرسول صلى الله عليه وسلم «لا قطع إلا في ربع دينار» فهذا الحكم يشترط لقطع يد السارق أن تبلغ قيمة المسروق ربع دينار فأكثر.

٣ - أو يقتضى وضع موانع من أحكام مثل قول الرسول «لا قطع في ثمر معلق». فهذا الحكم يقتضى جعل تعليق الثمر أى عدم حصد الحاصلات والثمار مانعاً من القطع في سرقتها. ومثل قوله صلى الله عليه وسلم «لا ميراث لقاتل» فهذا الحكم يقتضى جعل القتل الحاصل من الوارث مانعاً له من الإرث^(٢).

والفرق بين الحكم التكليفى والحكم الوضعى يظهر من وجهين: أولهما: أن الحكم التكليفى يقصد به طلب فعل

أو الكف عنه، أو التخيير بين إثبات الفعل وتركه. أما الحكم الوضعى فلا يقصد به طلب ولا كف ولا تخيير، ولكن المقصود منه بيان الأسباب والشروط والموانع. ثانيهما: أن الحكم التكليفى يكون دائماً فى مقدور المكلف، فيستطيع أن يفعله أو يتركه إن شاء؛ أما الحكم الوضعى فقد يكون أمراً فى مقدور المكلف، وقد لا يكون فى مقدوره.

وينبغى أن نلاحظ أن النص الواحد قد يشتمل على حكم تكليفى وحكم وضعى فى آن واحد، ومثل ذلك قوله تعالى: «وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا» فهذا النص يشتمل على حكم تكليفى هو طلب الكف عن السرقة، ويشتمل فى الوقت نفسه على حكم وضعى هو جعل السرقة سبباً فى قطع يد السارق.

وليس يهمنا فيما يتعلق بالنص على الجريمة إلا الحكم التكليفى المقتضى طلب فعل من المكلف أو كفه عن فعل. أما الأحكام التكليفية المخيرة فلا يعاقب على تركها أو إثباتها، ولا يعتبر إثباتها أو تركها جريمة، على الرأى الراجح.

وفما يتعلق بالنص على العقوبة يهمنا الحكم الوضعى، سواء كان سبباً أو شرطاً

(١) النور: ١٢

(٢) الإحكام فى أصول الأحكام للآمدى الجزء الأول ص ١٨١ وما بعدها - المستصفى للغزالي الجزء الأول ص ٩٣ - أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ٧٤ وما بعدها.

أو مانعاً ، لأنه يبين العقوبة وأسبابها وشروطها وموانعها .

قواعد أصولية شرعية :

من القواعد الأساسية في الشريعة الإسلامية : أنه « لا حكم لأفعال العقلاء قبل ورود النص ، أى أن أفعال المكلف المستول لا يمكن وصفها بأنها محرمة مادام لم يرد نص بتحريمها ، ولا حرج على المكلف أن يفعلها أو يتركها حتى ينص على تحريمها .

وهناك قاعدة أساسية أخرى تقضى بأن « الأصل في الأشياء والأفعال الإباحة ، أى أن كل فعل أو ترك مباح أصلاً بالإباحة الأصلية ، فما لم يرد نص بتحريمه فلا مسؤولية على فاعله أو تاركه . وهاتان القاعدتان ^(١) تؤديان معنى

(١) القاعدة الأخيرة يأخذ بها أكثر الحنفية والشافعية . والقاعدة الأولى يقول بها غيرهم وهم الذين يرون أن الإباحة تستدعي مبيحاً والمبيح هو الله تعالى . إذا خير بين الفعل وتركه بخطابه ، فإذا لم يكن خطاب لم يكن تخيير ولا إباحة . فالأفعال عند هؤلاء لا محظورة ولا مباحة ولا حرج في إتيانها أو تركها حتى ينص على حظرها أو إباحتها .

وهناك فريق يأخذ بالقاعدة الثانية على أساس أن معنى الإباحة هو أن لا حرج في إتيان الفعل . وقد كان هذا الخلاف سبباً في وضع هاتين القاعدتين الأصوليتين . ومن شاء أن يستزيد فليراجع الأحكام في أصول الأحكام للأمدى الجزء الأول من ١٣٠ وما بعدها . والمستصفي للغزالي الجزء الأول من ٦٣ وما بعدها . ومسلم الثبوت الجزء الأول من ٤٩ ، والأحكام في أصول الأحكام لابن حزم الجزء الأول من ٥٢ وما بعدها .

واحداً هو أنه لا يمكن اعتبار فعل أو ترك جريمة إلا بنص صريح يحرم الفعل أو الترك ، فإذا لم يرد نص يحرم الفعل أو الترك فلا مسؤولية ولا عقاب على فاعل أو تارك . ولما كانت الأفعال المحرمة لا تعتبر جريمة في الشريعة بتحريمها وإنما بتقرير عقوبة عليها ، سواء كانت العقوبة حداً أو تعزيراً ، فإن المعنى الذي يستخلص من ذلك كله هو أن قواعد الشريعة الإسلامية تقضى بأن لا جريمة ولا عقوبة إلا بنص .

وهناك قاعدة أصولية ثالثة تقضى بأنه « لا يكلف شرعاً إلا من كان قادراً على فهم دليل التكليف أهلاً لما كلف به ، ولا يكلف شرعاً إلا بفعل يمكن مقدور للمكلف معلوم له علماً يحمله على امتثاله ^(٢) فهذه القاعدة تبين الشروط الواجب توفرها في المكلف أى الشخص المستول ، والشروط الواجب توفرها في الفعل المكلف به .

فأما المكلف فيشترط فيه أولاً : أن يكون قادراً على فهم دليل التكليف ، أى أن يكون في استطاعته فهم النصوص الشرعية التي جاءت بالحكم التكليفي ، لأن

(١) أصول الفقه لعبد الوهاب خلاف ص ١٧٣ .

العاجز عن الفهم لا يمكن أن يمثل ما كلف به . ثانياً : أن يكون أهلاً لما كلف به أى أن يكون أهلاً للمسئولية وأهلاً للعقوبة أما الفعل المكلف به فيشترط فيه : أولاً : أن يكون ممكناً ، فلا تكليف بمستحيل .

ثانياً : أن يكون مقدوراً للمكلف أى فى قدرة الشخص إتيانه أو تركه . فإن لم يكن كذلك فلا يصح التكليف به . ثالثاً : أن يكون الفعل بعد إمكانه وقدرة المكلف عليه معلوماً للمكلف علماً تاماً يحمله على الامتثال ؛ والعلم التام الذى يحمل على الامتثال يقتضى :

(أ) العلم بالأحكام التكليفية ، ولا تكون معلومة إلا إذا نص عليها ونشر نصها على الكافة ؛ فمن لم يعلم بأمر أو نهى لا يمكن أن ياتم به أو ينتهى عنه . وتطبيق هذا الشرط على الجرائم يعنى أن لا جريمة بلا نص ينشر على الناس .

(ب) أن يكون فى الحكم ما يحمل المكلف على الامتثال ويكفه عن العصيان . وهذا يقتضى علم المكلف بأنه سيعاقب على عدم الطاعة . وتطبيق هذا الشرط على الجرائم معناه أن النص على الجريمة يقتضى النص على العقوبة .

وظاهر بجلاء من هذه القاعدة الأصولية أنها تعنى - كالقاعدتين السابقتين - أن لا جريمة ولا عقوبة بلا نص .

مصدر هذه القواعد الأصولية :

وهذه القواعد الأصولية التى تقطع بأن لا جريمة ولا عقوبة بلا نص فى الشريعة الإسلامية ، لا تستند فيما جاءت به إلى العقل والمنطق ، ولا تستند إلى نصوص الشريعة العامة التى تأمر بالعدل والإحسان وتحرم الظلم والحيث ، وإنما تستند إلى نصوص خاصة صريحة فى هذا المعنى ، منها قوله تعالى « وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا » ^(١) وقوله « وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ رَسُولًا يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا » ^(٢) وقوله « لَوْلَا يَسْكُونُ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ » ^(٣) وقوله « لَا تُذَرِّكُمْ بِهِ وََمَنْ بَلَغَ » ^(٤) وقوله : « لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا » ^(٥) وقوله : « قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَلْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ » ^(٦) فهذه النصوص قاطعة فى أن لا جريمة إلا بعد

(١) الاسراء : ١٥ (٢) القصص : ٥٩

(٣) النساء : ١٦ (٤) الانعام : ١٩

(٥) البقرة : ٢٨٦ (٦) الانفال : ٣٨

لهذه القاعدة العامة ؛ وإذا كانت الشريعة تقضى بتطبيق القاعدة على كل الجرائم ، فإن الشريعة لا تطبق القاعدة على غرار واحد في كل الجرائم ، بل إن كيفية التطبيق تختلف بحسب ما إذا كانت الجريمة من جرائم الحدود ، أو جرائم القصاص والدية ، أو جرائم التعازير . وسنرى فيما يلي كيف طبقت الشريعة القاعدة على مختلف أنواع الجرائم :

أثر القاعدة في جرائم الحدود :

طبقت الشريعة قاعدة أن لا جريمة ولا عقوبة بلائص تطبيقاً دقيقاً في جرائم الحدود ، وهذا ظاهر بجلاء من تتبع النصوص التي وردت في هذه الجرائم .

وجرائم الحدود سبع :

- ١ - الزنا . ٢ - القذف .
- ٣ - الشرب . ٤ - السرقة .
- ٥ - الحرابة . ٦ - الردة .
- ٧ - البغى .

ففي جريمة الزنا يقول الله تعالى : « وَلَا تَقْرُبُوا الزَّانَا ، وَيَقُولُ « الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدَةً » ، ويقول الرسول صلى الله عليه وسلم : « خذوا عني فقد جعل الله لهن سبيلاً :

بينان ، ولا عقوبة إلا بعد إنذار ، وأن الله لا يأخذ الناس بعقاب إلا بعد أن يبين لهم وينذرهم على لسان رسله ، وأنه ما كان ليكلف نفساً إلا بما تطيقه .

متى وجدت قاعدة لا جريمة ولا عقوبة

بلا نص ؟

وُجدت هذه القاعدة في الشريعة الإسلامية من مدة تزيد على ثلاثة عشر قرناً ، حيث جاءت بها نصوص القرآن كما بينا ؛ وبهذا تمتاز الشريعة على القوانين الوضعية التي لم تعرف هذه القاعدة إلا في أعقاب القرن الثامن عشر الميلادي ، حيث أدخلت في التشريع الفرنسي كنتيجة من نتائج الثورة الفرنسية ، وقررت لأول مرة في إعلان حقوق الإنسان الصادر في سنة ١٧٨٩ ، ثم انتقلت القاعدة من التشريع الفرنسي إلى غيره من التشريعات الوضعية .

كيف طبقت الشريعة القاعدة :

بيننا فيما سبق أن القاعدة العامة في الشريعة أن لا جريمة ولا عقوبة بلائص ، ودللنا على ذلك بإيراد النصوص الشرعية التي تقرر القاعدة ، وإيراد القواعد الأصولية التي وضعت تطبيقاً

البكر بالبكر جلد مائة وتغريب عام ،
والثيب بالثيب جلد مائة ورجم بالحجارة .
فهذه النصوص تحرم الزنا وتعاقب عليه
بالتغريب والجلد والرجم ، وهى كل
العقوبات المقررة للزنا فى الشريعة .

وفى جريمة القذف يقول الله تعالى :
«وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْصَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا
بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَإِذَا جِذِبُوا فَتُمْنَنَ جِلْدَةٌ
وَلَا يَقْبَلُوا لَهُمْ شَهَادَةٌ أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ
الْفَاسِقُونَ» . فهذا النص يحرم القذف
ويعاقب عليه بعقوبة أصلية هى الجلد ،
وبعقوبة تبعية هى الحرمان من حق أداء
الشهادة ، وليس للقذف فى الشريعة
عقوبة غير هاتين العقوبتين .

وفى جريمة الشرب يقول الله تعالى :
« إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ
وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِّنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ
فَاجْتَنِبُوهُ » ^(١) . ويقول الرسول صلى الله
عليه وسلم « كل مسكر حرام » ، ويقول :
« ما أسكر كثيره فقليله حرام » . وهذه
النصوص قاطعة فى تحريم تناول الخمر
والمسكرات .

أما العقوبة فقد عين النبي صلى الله

عليه وسلم نوعها بقوله «اضربوه» ولكن
لم يؤثر عنه أنه حدد مقدار العقوبة
تحديداً قاطعاً . وقد روى عنه أنه ضرب
أربعين فى الخمر ، وروى عنه أن الضرب
لم يكن محدد العدد ؛ وفى عهد عمر رضى
الله عنه أجمع الصحابة على أن يضرب
شارب الخمر ثمانين جلدة قياساً على
القاذف ؛ لأن الشارب إذا سكر هذى ،
وإذا هذى افترى . فالعقوبة إذاً تحددت
بقول الرسول وعمله وإجماع الصحابة ؛
وسنة الرسول مصدر من مصادر التشريع
الإسلامى ، وإجماع الصحابة مصدر آخر
من مصادر هذا التشريع ؛ أى أن السنة
والإجماع يقوم كلاهما مقام النص على
العقوبة .

وفى جريمة السرقة يقول الله تعالى :
« وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا
جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ » .

فهذا النص يحرم السرقة ويحدد عقوبتها .
وفى جريمة الحرابة يقول الله تعالى :
« إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ
وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا
أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ
مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ، ذَلِكَ
لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ

عَذَابٌ عَظِيمٌ ، فهذا النص يحرم الحراية والسعى بالفساد فى الأرض ، ويعاقب على ذلك بالنفى والقطع والقتل والصلب . وفى جريمة الردة يقول الله تعالى : « وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ » ، ويقول : « وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فِيمْتُ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ » (١) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « من بدّل دينه فاقتلوه » ، ويقول أيضاً « لا يحل دم امرئ مسلم إلا بإحدى ثلاث : الثيب الزانى ، والنفس بالنفس ، والتارك لدينه المفارق للجماعة » ، فهذه النصوص تحرم الردة وتعاقب عليها بالقتل .

وفى جريمة البغى يقول الله تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنِىَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » (٢) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » ، ويقول « ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهى جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » . فهذه النصوص تحرم بغى طائفة على طائفة ، وتجعل جزاء البغى القتال والقتل حتى ينفى الباغى ويرجع عن بغيه .

هذه هى جرائم الحدود ليس فيها جريمة إلا نص على تحريمها ونص على عقوبتها ؛ بل لقد عيّنت الشريعة العقوبات فى جرائم الحدود تعييناً دقيقاً بحيث لم تترك للقاضى أية حرية فى اختيار نوع العقوبة أو تقدير كمّاتها ، حتى ليكن القول بأن هذه العقوبات ذات حد واحد حكماً وإن كان بعضها يحتمل بطبيعته أن يكون ذا حدين . فلا تسمح الشريعة للقاضى أن ينقص العقوبة أو يستبدل غيرها بها أو يوقف تنفيذها . ولم تجعل الشريعة ظروف الجريمة أو المجرم أى أثر على عقوبات جرائم الحدود ، كما أنها لم تجعل للسلطة التنفيذية حق العفو عن هذه العقوبات . ومن ثم سميت هذه العقوبات بالعقوبات المقدرة حقاً لله تعالى ، إشارةً إلى أنها محددة النوع والمقدار ، وأنها لازمة فلا يمكن المساس بها .

وفى جريمة البغى يقول الله تعالى : « وَإِنْ طَائِفَتَانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا ، فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَنِىَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ » (٢) ويقول النبى صلى الله عليه وسلم « من أتاكم وأمركم على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم ويفرق جماعتكم فاقتلوه » ، ويقول « ستكون هنات وهنات فمن أراد أن يفرق هذه الأمة وهى جمع فاضربوه بالسيف كائناً من كان » . فهذه النصوص تحرم الردة وتعاقب عليها بالقتل .

(١) البقرة : ٢٢٧

(٢) الحجرات : ٩

أزمة العقل وأزمة الضمير

ولست أعنى بهذا الوصف عقل
الفيلسوف ، ولا عقل العالم ، ولا عقل
الأديب ؛ فإن هذه العقول في مجتمعاتنا
لا أثر لها ولا ظهور ، إلا كأثر النقش
على الماء ، وظهور البرق في حواشي الأفق
لمحة ثم يزول . ذلك لأنها في قلة يسيرة
العدد ، ثم هي — إلى هذا — تحيا حياة
من يحلم في اليقظة ، ويعيش بمعزل عن
غمار الناس ، ومزدهم المناكب ، وميادين
الجهاد والنضال .

وإنما أعنى العقل العام الذي جانبه
هؤلاء . كلهم أو أكثرهم ، وأهمهم
أو كادوا ، فضى في بنيت الطرق سائبا
هنا وهناك ، يضرب في المجهل ويخبط
في المتاهات ، كالأعمى فقد الدليل وضل
السبيل ، وهو مأخوذ بالدعايات التي يقوم
بها أرباب السياسات ، وتُطلق شياطينها

من يبعث رائد الطرف إلى المجتمع
يتقصى أحوال الناس عامة ، ويتأمل
ما يصدر عن كثير منهم من أعمال دقيقة
وجلييلة ، وما يتصرفون فيه من شؤون
خاصة أو عامة ، يقف واجم النفس واجف
القلب ، تجاه أزميتين حادثتين لعلهما أعنف
ما يواجه الإنسان من أزمات الحياة في
هذا العصر ، أو قل هما أصلان لما يرى
من أزمات الحياة في هذا العصر — هاتان
الأزميتان ، هما : أزمة العقل ، وأزمة
الضمير .

ففي (أزمة العقل) يرى المتأمل
ضروبا من الشذوذ والنقص والانحراف
تتفاعل أمشاجها ، فيتكوّن منها شكل
خلاسيّ مُخدّج قبيح . كبعض المخلوقات
الشاذة في سماجة المنظر ودمامة الشكل
وغرابة التكوين .

الحكومات في أزياء مختلفة وأسماء متعددة ،
وأخبثها ما يرتدى منها رداء العلم ويتسم
بمياسم الثقافة .

والتبعة في ضلال العقل العام وظهور
أزمة العقل هذه بهذا المظهر العنيف ،
إنما تقع على هذه القلة من العلماء والأدباء
المتقاعسين عن قيادته وتوجيهه وجهة
الهداية والحق المبين . فلو أنهم — على
قلتهم في هذا العصر — أدركوا وظائفهم
في الحياة وعظم تبعاتهم في المجتمع الإنساني
حق الإدراك ، وكانوا يؤمنون بكرامة
العقل على خالقه حق الإيمان ، لاقتحموا
ميادين الجهاد ، واضطربوا — مع أرباب
هذه الدعايات المضللة الممزقة للوحدة —
على الأخذ بزمام العقل العام ، وتوجيهه
توجيهاً قومياً سليماً يفيد منه في العلاقات
الإنسانية العامة ، ضمن قواعد علمية راسخة
رصينة ، ودساتير خلقية عادلة تركز عليها
صروح المجتمع البشري ، كالذي كان
يصنعه الفلاسفة والمفكرون في فجر
الحضارة وعصورها الأخرى .

لقد ناضل فلاسفة الإغريق كسقراط
وأفلاطون وأرسطو في ميادين الفكر
فضالاً يشهد لهم به التاريخ بفخر وإعجاب ،
فاضطربوا حول البحث عن الحقائق

الثابتة وضبط الفكر وامتحان القضايا
وامتحان الأدلة والبراهين لتعرف صحتها
من فاسدها ، وتساولوا من أجل توجيه
العقل العام إلى باحات الحرية الصحيحة ،
والسلامة في التفكير ، والتدقيق في فهم
الأحكام ، والاستمتاع بالعدالة والرفاهية
والطمأنينة في ضلال المجتمع العادل ، على
نحو ما صورته أفلاطون في جمهوريته ،
حتى غزت الفلسفة اليونانية التي أسسها
هؤلاء العالم كله ، وبحق قيل : « لما كانت
جيوش الإسكندر تغزو الأقاليم ، كانت
الفلسفة اليونانية وراءها تغزو العقول » .
نازل سقراط السوفسطائيين في
ميدان العقل والفلسفة لتوجيه العقل العام
الوجهة التي يؤمن باستقامتها وصلاحتها ؛
وكان السوفسطائيون قوماً يشيرون الشكوك
في النفوس حول المبادئ الموروثة ،
ويعلمون الناس المغالطة واللعب بالألفاظ ،
وكان من أخطر ما أذاعوه فيهم إنكار
حقائق الأشياء ، فليس هناك حق أو باطل
في ذاته ، وإنما هما نسيان ؛ فكان من أثر
هذه الآراء وما إليها في الحياة اليونانية
أن تعرض كل نظام سياسي أو خلقي عندهم
لخطر الانهيار . فنزل سقراط الفيلسوف
إلى هؤلاء السوفسطائيين في ميادينهم

يتناضلهم ويهاجمهم ، فما زال بهم يفند آراءهم ويبطل الأوهام التي أذاعوها في الناس حتى دحرم وأقام البناء الذي هدموه أو كادوا ، فقرر أن هناك حقائق ثابتة لا نسبية ، وأن هناك خيراً وأشراً ، وليس الخير ما اعتقدته خيراً ، بل ما طابق الخير في الواقع ، وأن هناك عدلاً ولو رآه بعض الناس ظلياً ... إلى آخر ما نازعهم عليه بعقله القوي ، وبراهينه السليمة ، حتى أزال شكوكهم من الأذهان ، وأعاد الطمأنينة إلى النفوس .

ولما كاد له خصومه من أضراب أنيتوس الخطيب ، واتهموه باحتقار الآلهة وهتك حرمت القانون ، وطلبوا قتله ، فسيق إلى السجن ، لم يحاول الفرار منه ، وقد يستره له بعض محبيه ، ونصحوا له به فأبى ، وقال : « أخبروني عن مكان لأموت فيه فأفرّ إليه . » فلما حاكموه وطلبوا إليه أن يدافع عن نفسه ، امتنع لعلمه أنهم قاتلوه لا محالة ، وشرب كأس السم دفعة واحدة بجأش رابط وجلد عجيب ، وهو ثابت على معتقده وما جاهر به ، لم يصرفه عنه هذا الموات الزوام !

هكذا صنع أرباب العقول المفكرة في فجر الحضارة الإنسانية ، وبمثل هذا

الاقتناع بوجوب توجيه العقل العام وجهة الحق ، اقتحم الفلاسفة والعلماء في أزمان مختلفة ولا سيما في العصور الإسلامية ساحات النضال ، واصطرعوا حول أنبل الغايات لبناء مجتمعات سليمة ترتكز على أقوى الدعائم المثالية ، وتعرضوا للأعنف الخصومات والمكائد ، بل تعرضوا للبهوت فاستقبلوه شجعاناً ، ولم يتصلوا من آراء جاهروا بها خيفة منه .

ولا كذلك مع بالغ الأسف الموصوفون أو أكثر الموصوفين بالعقل والمعرفة في هذه الأزمنة . فإننا لنرى أقواماً يخدمون « مبادئ » سياسية مرسومة قد يعملون هم من فسادها وشرها أكثر مما أعلمه أباً وتعلمه أنت ، ولكنهم ملكتهم المادّة وسلطان المال والجاه ، فلم يملكوا لأنفسهم رأياً ، ولم يعنهم غير أن يروجوا باسم العقل والمعرفة ما يراودهم ترويحاً ، وإن كان فيه دمار العالم وهم يعملون ، وذلك هو الضلال المبين .

ونرى آخرين طلبوا العافية واختاروا العزلة ، فاجتنبوا الناس وترفعوا عن قيادة الجماهير ، وهي طبيعة وظيفتهم في الحياة ، يرون الاختلال يعم العقول ، والنزعات السوفسطائية تحتاج العالم أو عالمهم الذي

هم فيه على أقل تقدير ، فلا يحركون ساكناً ، ولا ينازلون باطلا ليصرعوه ، ولا يلتقون بفتنة من فتن العقول ليقمعوها ، وهم دارون أنهم لو صنعوا بعض ما صنعه سقراط مع السوفسطائيين مثلاً ، أو دون ذلك ، فاقتحموا الميادين العامة لتوجيه عقل الجماهير إلى الحق ، لظفر المجتمع منهم بخير كثير .

ومن هنا كانت الثغرة العظيمة التي أتيت منها مجتمعاتنا الحديثة حتى نشأت فيها هذه الأزمة العقلية الحادة ، فإذا هي تعجّ بالمنازع الشواذ المتدبرة ، والآراء السخيفة الخطرة التي تعرض كل نظام خلقى خليق بالبقاء للسقوط والانهار . أما (أزمة الضمير) وهي أعنف الأزمتين وأبعدهما أثراً في فساد الحياة العامة وانحطاطها ، فيشاهد فيها المتأمل ما هو أدهى وأنكى وأهول وأشد . وأنت إذا افقت معي على أن أكثر ما يصدر من الإنسان من أعمال الجوارح إنما يصدر عن وحي ضميره وانبعاث عاطفته ، ولأحظت هذا الذي أصاب الضمير من الجمود والضمور ، والعاطفة من النضوب والقسوة كالذي ألاحظ ، فلعلك تدرك ملاح الصورة التي أريد أن أرسمها لأزمة

الضمير ، بل لعلك تستطيع أن ترسمها قوية واضحة أكثر مما أستطيع لإيضاح الحجة التي مَنِي بها هذا الجيل في حياته وعلاقته وتصرفاته ، والمصير الذي هو صائر إليه لا محالة ، دون أن يعي النذر ، أو يبصر مجاثم الخطر .

لقد كان للضمير في عصور سلفت . مربون مؤمنون حكماء ، حراس على مصاير الحياة الإنسانية وسلامتها ، ومدركون أبلغ الإدراك لأثر الضمير إذا صحّ ، وأثره إذا سقم . في الطمأنينة واستقامة الأحوال والأعمال . فكان هؤلاء الكرام البررة يأخذون الضمائر بالتربية والتهديب ، فيغذونها بالحب ويعلمونها بالخير ، ويفعمونها بالصفاء ، ليؤهلوها للحياة حافلة بالبهجة والبشر والكرامة وسكينة النفس . وهي أعظم ذخائر الحياة الإنسانية .

وقد بلغوا ما أرادوا من ذلك ، إذ استطاعوا بما نفخوه من المثل العليا فيها أن ينشئوا مجتمعات مثالية كانت غرراً في جبين الزمان .

كان هؤلاء أمانة الوحي وحملته ، وكانوا أصحاب رسالات الله إلى خلقه ، فأدبوا الناس بأدب الله ، وألزموهم الفطرة التي فطرهم الله عليها ، بالإيمان

والقدوة الحسنة ، حتى نجحوا أعظم نجاح
فيما تصدوا له من إصلاح ؛ لأن ذلك
وحده هو السبيل الأمثل إلى الإصلاح .
ثم لما دالت دولة هؤلاء خلف من
بعدهم خلف من أشتات الأمم صاروا
يتعلمون الدين تعليماً صناعياً خالياً من
العناية بتربية الضمائر ، إلا شيئاً يسيراً
لا غناء فيه يأتي عرضاً ولا يلتفت إليه ،
وصارت الهيمنة على الضمير العام إلى
نفر « عزّ عليهم تحصيل أرزاقهم من
أبواب المعاش فلجأوا إلى دعوى خدمة
الدين ببيع بضاعتهم من الراعي والرعية » ؛
فساءت الحال ، وفسدت السير ، وماتت
الضمائر ، ودغلت النيات ؛ إذ أشاع هؤلاء
في الجماهير الشعبذات والأوهام والخرافات ،
وطرزوها باسم الدين الحنيف ، وأخذوا
العامة بالتخويف من النار ، وهم يسوقونها
بهذه الأوهام إلى التلبس بأعمال أهل النار ،
وأهملوا تربية الضمائر ، ولم يفكروا في إقامة
الوازع في القلوب ، ثم خالطوا الخاصة
على المصانعة والرياء ، فلم يصارحوا بما لهم
وما عليهم ، ولا أيقظوا فيهم خشية الله ،
واندفعت الجماهير في تيارات مختلفة
وشعاب متفرقة ساقطتهم إليها السياسات ،
وانغمس الملوك والأمراء في حماة الشهوات

وردغات الرذائل ، وفتنهم الاستبداد الذي
زين هؤلاء المراءون لهم الاندفاع فيه ، عن
الاستبصار بسير الراشدين ، والعمل
بمساير العدل ، إلى ما أصاب الحياة من
التعقيد الشديد ، والأفكار من البلبلة
والانشقاق ، والنفوس من الصغار ،
خفوت الضمائر ، وخلت من صوت الله ،
وجفت العواطف ، ونضب فيها الحب
والصدق . وتفاقم ذلك كله على الزمن
إلى أن بلغ الغاية من الجذب والجفاف
والضمور ، فظهرت هذه الأزمة الحاضرة
الخيفة على أشدها ، حين انتقلت الهيمنة
على التربية والتوجيه إلى نفر غرباء عن
الأوطان الإسلامية جهدوا أبلغ الجهد
لقطع صلة الضمير بوحى السماء فيما وضعوا
من مناهج التعليم من ناحية ، كما أضعفوا
صلة الجماهير بالمثل الروحية التي توقظ
ضمائرهم من ناحية أخرى ، وأعانهم في
هذا وذلك نفرٌ منا مفتونون بهم وعاملون
بسياساتهم ببواعث مختلفة ، والكلام في
هذا الخطب يطول .

ولست أرى هذه الأزمة تزول
أو تخف وطأتها إلا بأميرين أساسيين :
الأمر الأول : أن تجرد هذه المناهج
التعليمية من آثار مادية القرن التاسع

عشر التي طغت على أوربة فاضطنعتها
بتأثيرها مجردة من العناية بتربية الضمير
الإنساني، وتكوين الوازع الرادع فيه،
ثم حملنا على الأخذ بها وتقديسها حملاً
حتى لا نَجْرُو أن نمسها ولو مسّاً رقيقاً
مع ظهور عيوبها وشروها وآثارها
السيئة في ملكات هذه الأجيال الناشئة.
والأمر الثاني: أن توصل هذه الجماهير
بأدب الوحي، فترى ضمائرهم بخشية الله
تربية سليمة تستقيم معها على الطريقة،
وتطبعها على الصدق والعفة والنخوة

والوفاء ورعاية جانب الحق سرّاً وعلانية.
وكلا الأمرين وظيفة كل ذي عقل
وعلم وضمير في الأمة، وأقل ما يترتب
على أمثالهم في المرحلة الأولى من الإصلاح
المنشود إعمال أعلامهم وألستهم في الدعوة
إلى هذين الأساسين، أو ما عسى أن يبدو
لهم من وجوه الرأي والتفكير في الحال
والمآل، لإنقاذ البلاد من هذا الشر
المستطير.

إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا
مَا بِأَنْفُسِهِمْ.



رذيلة الجاهل

قال حكيم: اجتنب الجاهل فإنه ينجي على نفسه وهي أحب النفوس إليه.
وقال أرسطو: الجاهل عدو لنفسه، فكيف يكون صديقاً لغيره!
وقال آخر: العاقل يوافق العاقل، والجاهل لا يوافق الجاهل ولا العاقل.
وقيل: الفاصل بين العاقل والجاهل، أن العاقل منطقته له، والجاهل منطقته عليه.

نابليون والإسلام

ما كان يظهر إعجابه بالدين الإسلامى ، وتعظيمه لتعاليم القرآن الكريم ، وتنويهه بما كان عليه الرسول المصطفى صلوات الله عليه ، من جليل الصفات ، وعظيم الخلال التى قلها حيزت لأحد من أبطال التاريخ ، سواء منهم من كان من أنبياء الرحمن ، أو من عباقرة بنى الإنسان . وقد أشار مؤرخنا الجبرقى إلى أن نابليون حينما كان بمصر ، كان كثيراً ما يذكر الدين الإسلامى بالخير ، كما كان يمجّد كتاب الله لما حواه من مبادئ صالحة ، وشرائع قيمة نافعة ، ونظم جديرة بالأخذ بها والسير على سننها ، لسعادة الإنسانية ؛ وأنه كان يشيد بذلك فى أحاديثه ، ويذيعها فى منشوراته . . على أن الناس كانوا وما يزالون يحسبون ذلك منه إنما كان ضرباً من ضروب خدع السياسة ، ولوناً من ألوان التويه على العقول .

لعل أحداً من رجال التاريخ الحديث ونوابغه الأفاضل ، لم يحظ بما حظّى به نابليون بونابرت من عناية الكتاب به ، ودراسة المؤرخين لمختلف شؤونه وحالاته ، وتنقضى آثاره ومخلفاته ، وتطلب أعماله وأفكاره وتصرفاته .

لم يقتصر ذلك على كتاب أمة من الأمم ، ولا على مؤرخى جيل من الأجيال التى نشأت بعده ؛ بل كانت العناية بتاريخه شاملة لأهل الدراسات عامة على وجه التقريب . ومع هذا فالظاهر أنه لا تزال فى تاريخ هذا الرجل بعض النواحي التى ما برح يكتنفها شيء من الغموض ، وما تزال فى دقائق حياته شؤون لم يكشف عنها الكشف التام إلى الآن ، على الرغم من تتبع حركاته واقتفاء أطواره فى مدى أيامه التى قضاه فى هذه الدنيا .

فمن ذلك ما قيل من أنه كان كثيراً

غير أنني أثناء مطالعاتي وتبعي
 ما انطوى عليه التاريخ من دقائق تسترعى
 النظر ، وتقصى سيرة هذا الرجل الفريد
 في مزاياه بين أبناء عصره ، قد عثرت على
 أمر جدير بالانتباه ، تؤيده وثائق بعيدة
 عن الشك ، نائية عن الريب ، تنفي عنه
 مظنة التلاعب بالألفاظ عن الإسلام
 وقرآنه الكريم ونبیه العظيم ، وثبت أنه
 كان يميل حقاً إلى هذا الدين ، ويعتزم
 اعتناقه ، وحمل جيشه عليه . وكان
 لا يفتأ يردد إعجابه بمبادئه القويمة وأثرها
 في أعراب البوادي ، حينما عرفوها على
 حقيقتها ، واستشعروا سماحتها ، وكيف
 دفعت بهم إلى أن فتحوا نصف الدنيا ،
 ونشروا حضارتهم المستمدة من تلك
 المبادئ والتعاليم ، فيما لا يكاد يزيد على
 نصف قرن من الزمان . كما كان للرسول
 الأكرم ولعمر بن الخطاب القسط
 الأوفر من الإجلال والإعظام . وكان
 يرى أن الإسلام إنما انتشر بهذه السرعة
 التي لا نظير لها في التاريخ بفضلها ؛ وأن
 ما كان يظهره من ذلك أيام كان بمصر ،
 إنما كان مبنياً على اعتزام صحيح ، وانتواء
 لا ايس فيه ؛ كما قرر ذلك كثير من
 الكتاب الفرنسيين الذين لم يتخرجوا

من تحرير الحقائق ، والتزام خطة
 الإنصاف .

فهذا الكاتب الفرنسي الشهير ميسيو
 « اتيان دنيه » ينقل في كتابه الذي وضعه
 عن الحج ووصف فيه الحرمين الشريفين ،
 وثيقة موقعاً عليها بامضاء « بونايرت »
 عن ميسيو « كريستيان شرفيلد » مؤرخة
 في ٢٦ أغسطس سنة ١٧٩٨ يقول له فيها :
 « إني أشكرك على ما قمت به من تعظيم
 نبينا » . كما نقل خطاباً من « بونايرت »
 إلى الشيخ محمد المسيري أحد أعيان
 الإسكندرية عن المقر العام بالقاهرة ،
 مؤرخاً في ٢٨ أغسطس سنة ١٧٩٨ يقول
 له فيه : « إني أرجو أن لا يطول الوقت
 حتى أجمع جميع عقلاء البلاد ومهذبيها
 وأقرر معهم نظام حكم مبني على مبادئ
 القرآن التي هي وحدها المبادئ الحقيقية ،
 والتي هي وحدها الكفيلة بسعادة البشر » .
 والشيخ محمد المسيري هذا كان من
 فضلاء وجوه الإسكندرية ، وكان عضواً
 في مجلس الأحكام الذي أنشأه نابليون
 بها برئاسة السيد محمد كريم ، للنظر في
 شكاوى الأهالي بعضهم من بعض . وظل
 الشيخ محمد المسيري محافظاً على الود
 الخالص لنابليون ، حتى بعد خروج

الحملة الفرنسية من الديار المصرية ، وكان يكتب إليه بما هو جار في مصر من الأحداث والوقائع .

وجاء في كتاب « جورنال غير مطبوع » هذه العبارة من أقوال نابوليون : « كان المشايخ يقولون لي دائماً : إني إن أردت أن أكون إماماً (خليفة) فلا بد من أن يدخل الجيش في الإسلام ، وأن يلبسوا العمام . وقد كانت هذه نيتي » .

وجاء في كتاب نقولا الترك ، قول نابوليون : « حقاً لقد قلت لكم مراراً ، وأعلنت تكراراً في خطبي : إني أنا مسلم موحد ، أجدد النبي محمداً ، وأحب المسلمين » . ونقولا الترك هذا كان من الكتاب اللبنانيين الذين رافقوا الحملة الفرنسية وترجموا لها مدة مقامها بمصر والشام ، وكتب عنها بعض الكتب بالعربية والفرنسية .

فهذا شيء مما عرف عن نابوليون وآرائه في الإسلام ونييه ومبادئه الصالحة .

وقد يقال إن ذلك إنما كان منه أيام صعود نجمه ، واتساع مطامعه ، وتنبه نوازع الآمال ، وعوامل الاحتيال في استمالة القلوب إليه ، وامتلاك نواصي

النفوس بيديه . . . وأقول : إن الأمر كان على خلاف ذلك ؛ فقد لازمه هذا الإعجاب بالإسلام والميل إليه حتى أواخر أيامه : لأنه كان — وهو في قمة مجده وذروة سلطانه — يعدّ العدة ، ويتخذ الأهبة ، لإنفاذ عزمته ، وإبراز نيته ، لا اعتناق الدين الإسلامي . . . والدليل على ذلك ما ذكره الكاتب الفرنسي مسيو « لا كاز » الذي رافقه إلى جزيرة سنت هيلانة ، وصحبها ، وكان يقيد عليه أنفاسه . فقد سأله « لا كاز » هذا يوماً عن ذلك ، فقال له : « إنه كان عزم على الدخول في الإسلام وحمل جيشه عليه ، ولكنه لم يكن يريد أن يفعل ذلك إلا بعد أن يصل بجيشه إلى الفرات ، بحيث يتمكن بإسلامه من الاستيلاء على الشرق » .

والذين درسوا حياة نابوليون ، وعرفوا اتجاهاته حق المعرفة ، لا يشكّون في أن هذا الرجل كان من أبعد الناس عن التلاعب بالألفاظ واتخاذها وسيلة إلى النفوذ والسلطان واستعباد الأمم ؛ هذه الصفات التي برع فيها الإنجليز براعة تفوقوا بها على الأبالسة والشياطين . ولذلك كان يظهر لهم أشد أنواع الاحتقار !

وسيلة إلى الاستيلاء على الشرق ، فلا شك
في أن هذه الوسيلة لو تحققت لأصبحت
غاية . وهى بمد ، نظرة قائد مولع بالفتح
والغزو واتساع السلطان . وكمن أمثال
لنابوليون فى التاريخ اضطرتهم الأحداث
والمطامع إلى أن يصبحوا من أشد الدعاة
لمبادئ الإسلام ، ومن أقوى ناشرية
بين الأمم ، بعد أن امتطوا صهوته إلى
ما أضرموا من غرض ، واتجهوا من غاية ! .
ويا ليت المقادير ساعدت نابوليون على
بلوغ آماله ، وحصول أمانيه ، إذن لكان
للعالم الإسلامى فى عصوره المتأخرة شأن
غير شأنه اليوم . . . !

وقد كان فوق ذلك من الثقة بنفسه ، ومن
القوة العقلية فى الدرجة الملحوظة ؛ كما
كان من سمو العبقرية فى الحد الذى ليس
وراءه مزيد لأمثاله ، بما جعله فى مقدمة
أنداده من أبطال عصره . وهو بهذه
العقلية الفذة ، وتلك العبقرية النادرة ،
قد فهم الدين الإسلامى فهماً حسناً ،
وأعجب بقرآنه إعجاباً بارعاً ، ووضع
نبيه الكريم فى الصدارة من قادة الأدهار ،
ولم يكن ذلك عن تقليد ، وإنما كان
عن بصيرة نافذة .

وإذا كانت عبارته الأخيرة التى
رواها مسيو « لا كاز » توحى بأنه إنما
كان ينوى اعتناق الدين الإسلامى ليكون



وصايا حربية

لما أرسل أبو بكر رضى الله عنه خالد بن الوليد لقتال المرتدين ، كتب له :
« اعلم أن عليك عيونا من الله تراك وتراك ، فإذا لقيت العدو فاحرص على الموت
توهم لك الحياة ، ولا تغسل الشهداء من دماءهم فإن دم الشهيد يكون له نورا
يوم القيامة » .

وأوصى هارون الرشيد عبد الملك بن صالح أمير سرية حربية فقال :
« أنت تاجر الله لعباده ، فكن كالمضارب السكيس إن وجد ربها اتجر ، وإلا احتفظ
برأس المال ؛ ولا تطلب الغنيمة حتى تحرز السلامة ؛ وكن من احتيالك على عدوك أشد
خوفا من احتيال عدوك عليك » .

أثر اختلاف العلماء في الجهاد

واجب مستقلّ غير الجهاد الإسلامي
المستفيض في الكتاب والسنة والفقه .
وما كان لكاتب في الفقه الإسلامي
يريد أن يبلغه لجمهور القراء ، أن يعتمد
إلى قول شاذ فيوازن به علماء الأمة جميعاً
ناصراً له سائراً عليه أنه رأى فرد شاذ
لم يوافق عليه أحد ولا أهل مذهبه .
والأستاذ أرفع من أن يتأثر بغمز الأجانب
في ديننا .

يستفتح الأستاذ الكاتب المقال بما
يؤيد هذا العنوان قائلاً « استقر الكلام
على أن العلماء رأين في وجوب الجهاد :
أحدهما يقول بوجوبه سواء بدأ المحاربون
بالاعتداء أولاً ، فالمسلمون يجب عليهم
مهاجمتهم (كذا) دائماً ، وهذا الرأي أكثر
أنصاراً وأعظم شيوفاً ؛ والآخر يقول
بعدم الوجوب إلا إذا اعتدى المحاربون
وأخذوا يهاجمون المسلمين في ديارهم ،
فهناك يجب على المسلمين أن يردوا عن
بلادهم اعتداء المعتدين ، ويدفعوا عن
أنفسهم بنى الباغين ؛ وأصحاب هذا الرأي

قرأت بالعدد التاسع من مجلة لواء
الإسلام الصادر غرة جمادى الأولى
لسنة ١٣٦٧ مقال الأستاذ الفاضل الشيخ
محمد البنا تحت العنوان السابق الذي أثار
دهشتي لما فيه من دعوى أن علماء الإسلام
اختلفوا في وجوب الجهاد ، ولم يكن هذا
العنوان في نظري ونظر كل من له إلمام
بكتب الفقه الإسلامية التي تدرس في
الأزهر وغيره ودرسها الأستاذ كذلك ،
لم يكن هذا العنوان بأغرب من العنوان
بـ « أثر اختلاف العلماء في الصلاة ،
أو اختلافهم في الصيام والحج ، إلى غير
ذلك مما هو معلوم من الفقه علم الواقع
المقرر فيه .

فإن الجهاد كتاب من كتب الفقه
المستفيضة القول في كل مذهب ، وفي كل
كتاب يدون في الفقه الإسلامي .
وإذا وجد لسفيان الثوري أو بعض
الحنفية قول بأن الجهاد لا يجب إلا في
حالة الاعتداء ، فقد وجد هذا البعض من
أشبهه رداً ؛ لأن الدفاع عن النفس

قليل عددهم وإن قوى دليهم ، (كذا) .
ثم أخذ الأستاذ الكاتب يفرض في بشاعة
الرأى الأول ، وأنه إثارة للفتنة في العالم ،
وزج به في أتون لا تحمد ناره ، وأنه
يلبس الناس شيعاً ، ويذيق بعضهم بأس
بعض ... إلى آخر ما كتب .

فهل ما صوره الأستاذ الكاتب هو
ما في كتب الفقه الإسلامى ؟ وهل هو
الحكم الشرعى المقرر في الكتاب والسنة
ونطقت به المذاهب الإسلامية ، أم أن
هذا قطع لركن كبير من أركان الإسلام
هو موضع العزة في الاسلام وذروة
سنامه ، كما قال صاحب الرسالة صلى الله
عليه وسلم ؟ .

إن كتب الفقه الاسلامى لا تختلف
ولا يعقل أن تختلف في وجوب هذه
الفريضة الإسلامية ؛ وإن شذ بعض
الحنفية بما لم يوافقوه عليه ، فقد أشبعوه
أنفسهم الرد كما قلنا ، وسبقه ابن العربى
في إحكامه بلسان حديد ، وتضافرت في
الرد عليه عبارات المتون .

إن الجهاد في الإسلام — يا فضيلة
الأستاذ — فريضة إسلامية قائمة إلى يوم
الدين لا تنقطع ، وهى السبب الفرد فيما
وصل العالم إليه الآن من الحضارة

والمدينة ، والعلم والمساواة والحرية ،
وما يتمتع به من نعيم في الحياة . وإذا
كانت المبادئ الوحشية الهدامة تقوم
بالسيف ولا تجد من أهلها من يهاجمها
هذه الهجوم ، أفلا تحتاج المثل العليا
للجمعية البشرية التى جاء بها الإسلام
أن تحمى بجانب من السيف يخيف
المعاندین أعداء الرحمة وأعداء الإنسانية ؟ .

هل الجهاد إلا دعوة للمبادئ
العالية والمثل الكريمة الموحدة لأجناس
البشر ، والصّاقة للشعوب صفّا واحداً
أنداداً ومتساوين ، فى وقت يلتب فيه
العالم إلى بلوغ هذه الأمنية التى تفتح لها
الوعى العالمى ، ولا يقر السلام فى
الأرض إلا بها ؟ وليس هناك من صوت
عال يصرخ بهذه المبادئ السامية تخشع
له النفوس بالطاعة ، والأهم بالانقياد ،
مثل صوت الإسلام ، صوت السماء
الطاهر المقدس الخالى عن نزعات البشرية
وأهوائها وأثرها بعضها على بعض .

فلو كان الإسلام الآن السلطان فى
الأرض ، وليس فى الدنيا إلا مسلم
أو مسلم كما يقول الشافعى : « أمرنا أن
نجاهد حتى لا يبقى فى الدنيا إلا مسلم
أو مسلم ، لو كان هذا واقعاً ماذاقت

البشرية من ويلات الحروب ما ذاقته
في الحربين العالميتين الماضيتين ، وما
ستدوقه أنكى وأسوأ في المستقبل
القريب العاجل ، نعوذ بالله ١ .

فمن لهذا الرسول ، رسول الرحمة ،
رسول الإسلام ، أن تفرج له الصفوف ،
وينفذ إلى منبر السلام العالمي ، وينادي
بمبادئه العالمية السامية ومثله العليا ،
مصحوباً بأى لون بسيط من ألوان
الحماية ، ليُنشر الحق بالحق ، ويدفع
الباطل ، ويفتح أعيننا عمياً ، وقلوباً صماً ،
ويكسر صنم الأنانية والاستبداد بالبشرية
والسير بها في سبيل الهلكة والدمار ؟ !
ذلك هو الجهاد الإسلامى الذى أذى
بعض وظيفته في العالم ، ولا زال عليه
شطر منها هذا وقته ، وليس هو بالفتنة ،
بل الفتنة هى الكفر القاضى بهذا العداء
البشرى المسلّح بالأسلحة الجهنمية .
والإسلام هو الرحمة للعالمين .

محمد عبد السلام القبانى
مدرس بكلية الشريعة

(لواء الإسلام) : عرضت هذه
الكلمة على فضيلة الأستاذ كاتب المقال ،
فجاء منه التعليق التالى :

أشكر الأستاذ الفاضل كاتب الكلمة
على عنايته بالأمور الإسلامية ، وأرجو له
المزيد منها . ولكنى كنت أرجو له أن
يقرأ مقالاً لنا بإمعان . وأكبر الظن أنه
لو رجع إليها لم يجد خلافاً بيننا وبينه ؛
فإننا لم نقل إن الجهاد غير واجب ، ولم
نقل عن أحد ذلك ؛ وإنما نقلنا خلاف
العلماء فى شروط الوجوب . وإذا كنا
جنحنا إلى اختيار ما ذهب إليه الإمام
الثورى من أن الجهاد واجب لدفع
العدوان ، فإننا لم نفرد بهذا رأى ؛ فقد
اختاره الأستاذ الإمام فى التفسير :
(سورتن البقرة وبراءة) وأيده بالحجج ؛
كما اختاره بعض كبار العلماء فى العصر
الحاضر ونشروه فى كتب متداولة ، ولكل
مجتهد طريقة ورأيه . والله يلهم الجميع
التوفيق والسداد .

عبد الله بن الزبير

روى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه كان يمر فى إحدى سكك المدينة وأطفال فيهم
عبد الله بن الزبير يلعبون ، فلما رأوا عمر تفرقوا سوى ابن الزبير فإنه بقى فى مكانه
لا يريم ، فقال له عمر : لم لم تذهب كما ذهب أترابك ؟ فقال عبد الله : لم يكن الطريق
ضييقاً فأوسع لك يا أمير المؤمنين ، ولم أكن مذنباً فأخافك .

زود القربى في الإسلام

Muslim Home.

By

H. H. Begam.

مترجمة عن

زوجها ترى لزاما عليها أن تعني بولده ،
وأن تحسن معاملته ، لأن الله — سبحانه
وتعالى — قد جعل له نصيبا في مال أبيه .
وإذا كان للزوجة طفل من زوج
آخر فإنه كذلك يفتقر إلى من يتعهده
بالتربية ، وبدهى أن طفلا هذا شأنه لاحق
له في مال زوج والدته ، إلا أنه كعمل
محمود ، يرضى به هذا الزوج وزوجته
يرى واجبا عليه أن يعطف على طفلها ،
وأن يباشر تربيته ويرعى شؤنه .

وإن في تاريخ الإسلام لأمثلة كثيرة
تشهد بأن رسول الله — صلوات الله
وسلامه عليه — وأصحابه — رضوان الله
عليهم أجمعين — قد تعهدوا مثل هؤلاء
الأطفال بالتربية ، وأنزلوهم من قلوبهم
منزلة أبنائهم . ولما كانت أعمال الرسول
— صلى الله عليه وسلم — وأعمال

إن كلمة « الأسرة » — في عرف
المسلم — لا تشمل أقارب الرجل
وزوجته فحسب ، ولكنها تشمل كذلك
من يمت لهؤلاء الأقارب بصلة القربى .
والطفل كائن ذو صلة وثيقة بوالديه ،
وله في قلبهما محبة طبيعية عميقة . وليست
واجبات الوالدين نحو طفلهما في حاجة
إلى إيضاح ، ولكننا نرى في بعض الأسر
أحيانا فتيانا وفتيات من أزواج آخرين
وزوجات أخريات ، فهؤلاء الأبناء
يكونون في مسيس الحاجة إلى من يتعهد
شؤونهم ويشرف على تربيتهم . فإذا حدث
أن كان للزوج طفل من زوجة أخرى فإن
زوجة أبيه لا تشعر نحوه بمحبة طبيعية ،
لأنها تعتقد أنه قد فرض عليها فرضاً ،
ولكن باعتبارها مخلوقا من مخلوقات الله
من حقه أن يحيا ، وحباً منها في أن ترضى

من ربحك الحلال ، فكل مما يكسب
أبناءؤك .

أما طاعة الآباء ومعاملتهم بالحسنى
وحب الإنسان لذوى قرياه ، فمما أوصانا
به كتاب الله العزيز ، وجاءت به أحاديث
سيد المرسلين . ويعتبر بر الوالدين من
الأمور البارزة التي جاء بها الإسلام .

قال تعالى : « وَاعْبُدُوا اللَّهَ
وَلَا تُشْرِكُوا بِهِ شَيْئًا ، وَبِالْوَالِدَيْنِ
إِحْسَانًا ، وَبِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ
وَالْمَسْكِينِ ، وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَىٰ
وَالْجَارِ الْجُنُبِ ، وَالصَّاحِبِ بِالْجَنبِ
وَابْنِ السَّبِيلِ ، وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ،
إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ مَنْ كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا » .
وقال تعالى : « وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ
بِوَالِدَيْهِ ؛ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ
وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنْ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ
إِلَىٰ أَلَمِّصِيرٍ » .

وقال تعالى : « وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَىٰ
أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ
فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا
وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ
مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ » .

الصحابة — رضوان الله عليهم — تعتبر
هديا ونبراسا ، وجب على المسلمين أن
يهتدوا بهدى نبيهم وأصحابه ، وأن يحسنوا
معاملة الأبناء الذين لا تربطهم بأسرهم
صللات مباشرة . وليعلموا أن حسن
معاملة هؤلاء الأبناء ، مدعاة إلى أن تأخذ
السعادة طريقها إلى كل بيت ، وإلى أن
يتبادل الزوجان المحبة والوفاء .

أما الآباء والأقارب الآخرون ،
فيجب علينا أن نمد يد المساعدة إليهم ،
وأن نحرص على معاونتهم . فالآباء
يقومون بتربية الأبناء ، ويقاسون في
سبيل ذلك كل عناء ، وإنهم إنما يفعلون
ذلك لأنه حق للأبناء في أعناقهم . وبما
أن الآباء ينفقون جانبا كبيرا من أموالهم
في تنشئة أبنائهم وتربيتهم ، كان من حقهم
أن ينالوا مما تكسبه أيدي أبنائهم
ما يساعدهم على أن يحيا به حياة طيبة .

يحكى عن ابن شعيب عن والده عن
جده أن رجلا جاء إلى رسول الله —
صلى الله عليه وسلم — وقال : إن لي مالا
وإن أبي لفي حاجة إليه . فقال النبي —
عليه أفضل الصلاة والسلام — « أنت
ومالك لأبيك ، وإن أباك جزء

وقال جل : شأنه « وَبَرًّا بِوَالِدَيْهِ
وَلَمْ يَكُنْ جَبَّارًا عَصِيًّا ،

وقال عز من قائل : « وَفَضَى رَبُّكَ
أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا ،
إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِنْدَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا
فَلَا تَقُلْ لَهُمَا قَوْلًا وَلَا تَنْهَرُهُمَا وَقُلْ
لَهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا .

وتعلمنا الآية السكرية الآتية كيف
نعامل آباءنا وكيف نخضع لهم ، والطريقة
التي ندعوه سبحانه وتعالى بها ليغفر لهم
ويرحمهم .

قال تعالى « وَآخِضْ لَهُمَا جَنَاحَ
الدُّثْلِ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُلْ رَبِّ ارْحَمْهُمَا
كَأَنَّيَ صَغِيرًا ،

وها هو حديث نبوي جدير بالذكر ؛
قال أبو هريرة — رضى الله عنه — جاء
رجل إلى النبي — صلى الله عليه وسلم —
وقال : « يانبي الله من أحق يبرى ؟ فقال :
عليه أفضل الصلاة والسلام : « أمك »
فقال الرجل : « ثم من ؟ » فقال النبي
— صلوات الله وسلامه عليه — : « أمك »
فقال الرجل : « ثم من ؟ » فقال صلى الله
عليه وسلم : « ثم أبوك » .

وفي رواية أخرى أن النبي صلى الله

عليه وسلم قال « أمك » ، ثم أمك ، ثم أمك ،
ثم أبوك ، ثم الأقربون إليك » .

وجاء رجل إلى النبي — عليه أفضل
الصلاة والسلام — وقال : « يانبي الله لقد
ارتكبت إثما جللا فهل ينفعني ندمي ؟ »
فقال صلى الله عليه وسلم « هل لا تزال
والدتك على قيد الحياة ؟ » فقال الرجل :
لا ، فقال ، النبي صلوات الله وسلامه عليه
« هل خالتك على قيد الحياة ؟ » فقال
الرجل « نعم » فقال النبي — صلى الله عليه
وسلم : « إذن كن برا بها » .

ويستفاد من ذلك أن الحالة لها أن
تدعو الله ليغفر لابن أختها ، وأن البر
بها باعتبارها أمًا يعتبر كفارة عن إثمة
الذي اقترفه .

وإنه لمن دواعي الأسف أن بعض
المسلمين يعوزهم معرفة الشيء الكثير عن
فضائل أجدادهم الأولين ، كما يفتقرون
كذلك إلى الإلمام بما يجب أن يعاملوا به
ذوى قرباهم .

فالبر بالوالدين وبذى القربى ومحبتهم
واجب فرضه الله سبحانه وتعالى علينا .
وإن من يؤمن بالبعث وباليوم الآخر
يعرف أن هناك عقابا معداً لمن لا يقوم
بما أوصانا به الله جل علاه في هذا الشأن .

حُدُّوْهُ اللهُ وَمَنْ يُطِيعِ اللهَ وَرَسُولَهُ يَدْخُلْهُ
جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ
فِيهَا ، وَذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ . وَمَنْ
يَعْصِ اللهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يَدْخُلْهُ
نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ

عبد المنعم الصايف
المدرس في كلية اللغة العربية



وإذا عجز الزوج — تحت ضغط
زوجته عن أن يؤدي واجبه نحو والديه
وذوي قرباه ، فكلال الزوجين يعتبر مسئولا
أمام الله عما قدمته يدهما من الإساءة
إليهما . وإذا رغبت الزوجة أن تقوم
بواجبها نحو أهلها ، وأن تقدم إليهم من
مالها ما يخفف عنهم عبء الحياة ، ووقف
زوجها حجر عثرة في سبيلها ، وأبى أن
يدعها تفعل ذلك ، فإنها تعتبر — والحالة
هذه — مسئولة عن عدم أدائها للواجب
المفروض عليها نحو والديها وذوي قرباها ،
وسيقع الإثم كله على كاهل الزوج العاق.
وفي حياتنا الاجتماعية ، تتوقف
سعادة الأسرة إلى درجة كبيرة على
حسن المعاملة التي يلقاها الوالدان
وذوو الأرحام من الأبناء .

• قال تعالى في كتابه العزيز : تِلْكَ



آيات الكون في القرآن

الفصل الأول

آراء راصدى القبة السماوية والباحثين عن ماهية أجرامها العلوية من الحكماء الأولين والآخرين ، ونظرياتهم المتعلقة بكيفية تكون الشمس والسيارات التابعة لها ، وما يؤيد ذلك من الآيات الجليلة فى القرآن الكريم .

خلاصة نظرية « عمانوئيل لانت » الكونيكسبرغى الألمانى

إن حركة السيارات — التى يتألف منها العالمُ الشمسى — حول الشمس فى دوائر تكاد تكون منطبقةً على خطّ استوائها متجهاتٍ جميعاً إلى جهة واحدة ، قد لفتت أنظار أهل النظر جميعاً إليها ، وكانوا كلهم على اتفاق فى أن ذلك نتيجة لحركة عامة نشأت عن سببٍ ما .

وذهب كَانتُ فى تعيين سبب هذا النظام فى سير السيارات إلى أن جوَّ السماء الذى نشاهده الآن خالياً لم يكن كذلك دائماً ، فافترض أن المادة التى تكونت الكواكبُ منها كانت فى بادى أمرها سديمًا كالسحاب يملأ الفضاء جميعاً على السواء . لكن هذا التساوى فى انتشار السديم لم يدم طويلاً ، بل كان ينجذب بعضه إلى بعض بالناموس الذى استكشفه نيوتون . فغدت مراكز التكاثر — الصغيرة منها والكبيرة — مراكز للجاذبية . إذن فالمادة التى تكونت منها الشمس وسياراتها كانت فى بدء الخليقة سديمًا منتشراً فى الفضاء يملأه ، واتفق أن كتلة الشمس كانت أشدَّ كثافة من كتل السيارات الأخرى فاجتمعت فيها قوة الجذب ، وترتب على ذلك اجتماع المواد الأولى فيها ، فأخذت هذه الكتلة فى الاتساع رويداً رويداً . وكانت فى كل مكان كتلٌ مختلفات فى كثافتها فكان

أثقلهن أسرع إلى الاقتراب من الكتلة المركزية (الشمس) مختبرات السديم بسهولة. إن تدافع الدقائق تنشأ عنه مقاومة لا يمكن سريانها إلى كل جهة بصورة واحدة، فالحركات الناشئة عن التفاوت في سقوط الأجسام المذكورة لا بد أن يؤدي إلى اعوجاجها، وعن مثل هذه الأحوال ينشأ الناموس العام لتوالي رد الفعل. وبيان ذلك أن هذه الأجسام إذا شرعت تتلوى، إلى أن تُعبد لها طريقاً قليل الموانع، لا تلبث اعوجاجاتها العرضية في المكان الواحد والجهة الواحدة أن تتحول إلى دوران عام، حتى أن الدقائق التي تكونت منها الشمس نفسها كانت معرضة لهذا النوع من الاعوجاج، فأدى ذلك إلى ظهور الحركة الرخوية في جرم الشمس المتكون من تلك الدقائق.

ولبوانكاريه اعتراضات متعددة في هذا الباب أهمها: أن الشرطي هو الذي ينظم سير الناس عند ازدحام الطريق، فما هو النظام الذي يدفع بدقائق الكون إلى السير في جهة معينة فتكون عرضة لرد الفعل؟ وأن المواد الأصلية التي تكونت منها الشمس كانت في البدء ساكنة، ولما كانت المواد الساكنة لا يتأثر بها حركات دورية فإنها لا سبيل إلى تكون العالم الشمسي منها.

ويقول كانت في نظريته: فالشمس كتلة تكاثفت في مركز السحاب السديمي، ثم تكاثفت كتلة أخرى من حولها بالدرجة الثانية وأخذن بالدوران في سطح واحد تقريباً، فكانت من ذلك الكواكب السيارة. وعند كانت أن خط الاستواء الشمسي هو سطح الدوران العام للسيارات. والدقائق الموجودة في خارج هذا السطح ما برحت مدفوعة من كل جهة إلى حركتها الرخوية بمقتضى نواميس الثقيل حتى تبلغ هذا السطح وتدور من ساحة المركز فتجتمع فيها. والقسم المركزي من هذه الدقائق من شأنه أن يدفع بعضه بعضاً ويمنع بعضه بعضاً حتى يتمكن خطها الذي تلشده نواميس القوى المركزية من الوصول بسرعة إلى هذا السطح، فتدور هذه الكتل في دوائر متحدة المركز. وهذه السرعة التي اقتضاها سقوط الدقائق من خارج السطح لا تفتأ تحدث هذا الاضطراب الناشئ.

عن حركة الاعرجاج العَرَضِيَّ حتى تحصل الكتلة على استقامة سيرها في طريق قليل الموانع . أما المقدار الأكثر من الدقائق فلما كانت سرعتهم أقلّ من النسبة المطلوبة فانهم يثابرون على السقوط في طريقهم حتى يقتربن من الشمس فيدخلن في تكوينها . وإن الساحة المحصورة بين سطحين متوازيين — يقارن أحدهما الآخر بطرفي مركز الشمس بصورة ظاهرة — فمن شأنهما أن يدور ما في كليهما من الدقائق في دوائر بسرعة متفاوتة بتفاوت بُعد هذه الدقائق عن المركز . وعلى هذا الوجه يتحوّل النظام الأول الذي تكون بناموس التجاذب والتدافع إلى نظام آخر ، لأن تدافع هذه الدقائق يكون بغاية الضعف ، فإذا لم تتوسط قوة التجاذب في تعديل الحال وتشكيل مواليدها هذا التكوين (السيارات) فإن الحال يستمر على ذلك إلى الأبد .

إن الدقائق المتجاورة من شأنها أن ترسم دوائر تكاد تكون متساوية ومتوازية ، وتكون كل منها ساكنة بالنسبة إلى الأخرى . وحينئذ إذا وجد مركز ذو جاذبية متفوّقة على الجاذبيات الأخرى فإن الدقائق المجاورة له ينجذبون إليه حتى تتكون هناك كتلة تزداد جاذبيتها قوةً مع الزمان فتدنو منها المواد البعيدة ولا تزال تتسع وتعظم حتى تبلغ الغاية الممكنة . والأجسام التي تشكلت على هذا الوجه حول الشمس كان ذلك شأنها بالنسبة إلى العناصر التي أصلها منها . وكما كانت الحال كذلك بمقياس واسع في تكون السيارات حول الشمس كانت الحال كذلك أيضاً بمقياس أضيق في تكون الأقمار حول السيارات ، وإنما كان ذلك بمقياس أضيق لضيق دائرة الجاذبية ثمة .

العلم

تعلموا العلم ولولم تناولوا به حظاً ، فلان يذم الزمان لكم ، خير من أن يذم بكم .

الفقه الوحي والأحكام

س ١ — رجل تزوج بنت ودخل بها ، ولكنه لم يقر بها بسبب ضعفه ، ومكثت معه ثلاثة أشهر تقريبا وهو لا يستطيع قربانها ، ثم فكر أخيرا في أن يطلقها ليتزوجها ولده ، فهل تحمل له أم لا ؟

ج ١ — يحرم على الابن أن يتزوج من عقد عليها أبوه دخل بها أم لم يدخل ، لقوله تعالى : « ولا تنكحوا ما نكح آباؤكم من النساء » . ويحرم على الأب أن يتزوج من عقد عليها ابنة دخل بها أم لم يدخل ، لقوله تعالى : « وحلائل أبنائكم الذين من أصلابكم » . وقال ابن عباس رضى الله عنه : « كل امرأة تزوجها أبوك أو ابنك دخل بها أو لم يدخل فهي عليك حرام » .

وهذا الذى قاله ابن عباس من أن زوجة الأب وإن لم يدخل بها تحرم على الابن كما أن زوجة الابن وإن لم يدخل بها تحرم على الأب ، مما اتفق عليه علماء الاسلام . قال ابن رشد فى كتاب بهاية المجتهد : اتفق المسلمون على تحريم زوجات الآباء على الأبناء ، وزوجات الأبناء على الآباء بنفس العقد .

س ٢ — بعض الناس يشكون فى إسلام أبى طالب عم النبي صلى الله عليه وسلم قبل موته ، فهل هو مات على الجاهلية أم مات على الإسلام ، وهل كان لإسلامه قبل موته مدة أم قبل الموت مباشرة ؟
أحمد نصار

ج ٢ — لا شك فى أن أبا طالب لم يسلم وأنه مات مشركا . أخرج البخارى ومسلم عن سعيد بن المسيب قال : لما حضرت الوفاة أبا طالب دخل النبي صلى الله عليه وسلم وعنده أبو جهل وعبد الله بن أمية ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : أى عم قل لا إله إلا الله أحاج لك بها عند الله ، فقال أبو جهل وعبد الله بن أمية : يا أبا طالب أترغب عن ملة عبد المطلب ! فجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم يعرضها عليه وأبو جهل وعبد الله بن أمية يعاندانه بتلك المقالة ، فقال أبو طالب آخر ما كلمهم : هو على ملة عبد المطلب . وأبى أن يقول لا إله إلا الله ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : لأستغفرن لك ما لم أنه عنك ، فترلت : « ما كان للنبي والذين آمنوا أن يستغفروا للمشركين ولو كانوا أولى قربى من بعد ما تبين لهم أنهم أصحاب الجحيم » . وأنزل الله فى أبى طالب : « إنك لا تهدى من أحببت ولكن الله يهدي من يشاء » .

س ٣ — ما رأيكم في النوم المغناطيسي الدكتور محب أو غيره ، كيف يعلم الماضي والحاضر والمستقبل ، وقد قال الله تعالى : « إن الله عنده علم الساعة وينزل الغيث ويعلم ما في الأرحام وما تدرى نفس ماذا تكسب غدا وما تدرى نفس بأى أرض تموت إن الله عليم خبير » وهذا النوم يدعى أنه يعلم المستقبل ، فكيف تجميع قدرة المخلوق مع قدرة الخالق ؟

كفر نفره عبد السلام يوسف

ج ٣ — المستقبل غيب ، والغيب لا يعلمه إلا الله ، قال تعالى : « قل لا يعلم من في السموات والأرض الغيب إلا الله » فالمستقبل لا يعلمه النوم المغناطيسى ، وادعائه علمه كذب وتضليل ، ويجب على المسلم أن لا يصدق ، فإن تصديقه في ذلك إثم ، قال عليه الصلاة والسلام : « من أتى كاهنا أو عرافا فصدقه فقد كفر بما أنزل على محمد » .

س ٤ — ماذا يفعل المسلم الذى يسكن بلاد الإسكندرية إذا جاء شهر رمضان وأراد الصوم ، وقد قال علماء الجغرافيا إن الليل يستمر في هذه البلاد ستة أشهر والنهار كذلك ، وكيف يحدد صومه ، وكيف يتحقق تعريف الصوم وهو : الإمساك عن المفطرات من طلوع الفجر إلى غروب الشمس مع طول مدة الليل وكذا النهار ؟

س ٥ — وما حكم الشاة التى تربت على لبن الكلب أو الخنزير وذبحت بعد فطامها وقبل أن تأكل شيئا من الحب أو الحضر ، هل يؤكل لحمها أو لا يؤكل ؟

أشليم منوفية أحمد محمد السيد عبد الهادى

ج ٤ — البلاد التى يستمر فيها الليل ستة أشهر وكذلك النهار ، يجب على أهلها الصوم والصلاة ، ويقدرُونَ الأوقات بأقرب البلاد التى فيها ليل ونهار إليهم ، وذلك قياسا على أيام الدجال التى وردت في الحديث ؛ عن النواس بن سمعان قال : ذكر رسول الله صلى الله عليه وسلم — الدجال ولبثه في الأرض أربعين يوما : يوم كسنة ، ويوم كشهر ، ويوم كجمعة ، وسائر أيامه كأيامكم . قلنا : فذلك اليوم الذى كسنة يكفيناه فيه صلاة يوم ؟ قال : لا ، اقدروا له قدره » . رواه مسلم

ج ٥ — أما الشاة التى تربت على لبن الكلب أو الخنزير وذبحت قبل أن تأكل ، فقد قال العلماء : إنه يحرم أكل لحمها . وقال بعضهم : يكره . والأصل في ذلك ما روى عن ابن عمر رضى الله عنهما ، قال : « نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن أكل الجلالة وألبانها » والجلالة بتشديد اللام : التى تأكل الجلة وهى البعرة . والشاة التى تربت على لبن الكلب أو الخنزير مثلها .

س ٦ — أرجو فضيلتكم إفادتي عن القول الآتى : « لو اعتقد أحدكم في حجر لفعه » هل هو حديث نبوى أم لا ؟ وإذا كان حديثا نبويا فما معناه ؟

ج ٦ — هذا القول ليس بحديث نبوى ، ومعناه فاسد . قال ابن تيمية : إنه كذب . وقال ابن حجر : لا أصل له . وقال ابن القيم : هو من كلام عباد الأصنام الذين يحسنون ظنهم بالأحجار .

بين المجلة وقراءها

نشرنا هذا الباب في العدد الماضي من لواء الإسلام ، وأشرنا فيه إلى رغبات بعض حضرات القراء واعدن بأن نعمل جهدنا على تلبيتها في حدود الطاقة وبقدر ما يتسع له المقام . ويظهر أنه قد صادف هوى من القارئ فانهالت علينا الرسائل تحمل الاقتراحات ، والأسئلة والاستفسامات والتوجيهات . وتلبية لرغبات حضراتهم ، وحرصاً منا على إرضائهم ووسعنا الجهد ، نذكر ما يتسع له المقام من رسائلهم ، موالين نسر غيرنا أول فأول حسب الظروف والقضيات ، فن لم يجد اسمه أو اقتراحه في هذا العدد فليتسه فيما يليه من أعداد ، ولا يؤله التأخير ، فأن عذرنا واضح بين .

الشيخ أحمد كامل الحضري شيخ معهد دمياط يقول : إن موضوع صدقة الفطر المنشور في عدد رمضان منسوباً إلى قلم التحرير قد قل من كتاب الفقه على المذاهب الأربعة ، ويرجو الإشارة إلى ذلك . وفات فضيلته أن النصوص الشرعية كلها منقولة عن كتب الأقدمين ، وأن المغفور له مؤلف كتاب الفقه هو كذلك ناقل ، ومع كل فإننا نشكر لفضيلته . ولا نغفط لجنة تأليف كتاب الفقه برئاسة المرحوم الشيخ عبدالرحمن الجزيري حقها . فاضل الأسبوطي يمجراً : يطلب موالة تفسير القرآن الكريم بالترتيب ، وتفسير نخبة من أحاديث الرسول ، وموالة نشر الأحكام الشرعية — ولعله يقصد الفتاوى — ويخصص باب لمخاربة البدع ، ونشر أدبيات بمجوه من آداب القرآن الكريم وملح وطرائف . ولعل حضرتة يرى أننا نعمل على تحقيق هذه الرغبات رويداً رويداً .

حامي محمد الحداد برشيد : يعلن استعدادده ويضع نفسه في خدمة المسلمين من أهل جزيرة لانو الذين يريدون تعلم أمور دينهم . ونحن نشكره ونعده بالاتصال به عند ترتيب أمر بعثة للسفر إلى هذه البلاد . محمود السيد الحمصاني بدمهور : نشكره على حسن استعدادده للجهاد في سبيل الله والدين ، ونعده بأننا سنرسل إليه التفاصيل التي طلبها حين ينتهي ترتيب كل شيء لاتخاذ مساعي جزيرة لانو .

سليمان عبد الوهاب الخيال بوزارة الدفاع الوطني : يقول : لإنهراعه ما جاء في نهاية بحث زينب أخت الحسين للأستاذ كامل البنا إذ يقول : وحلت بركته في كل مكان فليتمسها كل راعب . وهو يريد بياناً يشفي الغلة لأن وراء هذا ما يجز بالعامه والطعام إلى شرك صراح بحجة هذه البركة ... إلى آخر ما جاء في كتابه القيم . ونحن نقول لحضرتة : إن الأستاذ الكاتب لم يقصد إلى هذا المعنى مطلقاً ، ولم يدع إلى تقبيل النحاس والحديد والخشب وتمريغ الوجوه . من تلك الأشياء التي يفعلها العامة جهلاً وغفلة ، ولكنه قال إن الذين يتبركون بالسيدة زينب لعلمها وورعها وتقواها وزهدا ودينها ظناً منهم أن هذه الصفات لا توجد إلا في زينب ابنة علي ثم مخطئون ، فأن هذه الصفات توجد كذلك في زينب ابنة الحسين لأنهما من سلالة واحدة وأصل واحد ، ومن أراد البركة فليتمسها من أيهما شاء ، واختتم مقاله بالآية الشريفة «لما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» ولم ينظر إلى ذهنه أي معنى من المعاني التي ذكرها حضرة الكاتب الأديب ، فليطش بالآية ، وليعلم أن تلك الأفعال التي يرتكها العامة سلكها أعمال منكراً لا يقرها الدين ولا يعترف بها أحد من العلماء العاملين .

الحاج منصور برعي بالنصورة : إنشكره على تهنته بالعام الجديد . مصطفى مدورة : يطلب أن توالى المجلة نشر جزء من سير الصحابة الراشدين .

عبد البصير حسن : يسأل بمناسبة ما نشر عن السيدة زينب للأستاذ كامل البنا من أن بعض العلماء ينكر وجودها بمصر ، ثم يسأل عن معنى كلمة القطب التي جاءت في المقال عن الشعراني . وجوابا على سؤاله نفيده . أن القطب يطلق على كل رجل اشتهر بصفة من الصفات ، فيقال : فلان قطب في السياسة ، وفلان قطب في الدين ، وفلان قطب في العلم والمعرفة ، إلى غير ذلك . وقد أطلق على الإمام الشعراني قطب ، لأنه كان رجلا ورعا تقيا ، من العلماء .

محمد صالح عبد القادر غنيم : يطلب أن يكون بالحلة باب خاص للعبادات ، كما سبق أن نشر من الموضوع ، وأن يخص باب للسيرة المحمدية حتى يقف المسلمون على حياة رسولهم الكريم .

عبد الرحمن خليل الأعصر : يسأل عن حكم من ورث ذكروره دون إناثه محتجا بأنه ماله وهو المتصرف فيه . وجوابا على سؤاله نقول له : إن هذا حرام وصاحبه آثم .

محمد الحسني الحجاجي ، بسبوت شرف ، محمود الميهي ، علي أحمد الجوهري إبراهيم ، محمد الشرنوبى : يسألون عما جاء في إحدى الفتاوى بالعدد العاشر من السنة الأولى عن الزيادة بعد قوله تعالى : فمن يأتكم بماء معين ، وأنها ليست من القرآن وما شاكلها من الآيات ، وأنوا بأحاديث يقولون إنها صحيحة . ونحن نجيب حضراتهم بأن المقصود من الفتوى التي سبق نشرها هو أن هذه الزيادات ليست من القرآن قطعا . ونقول هنا إن الاتيان بها لا بأس به . ولعل في هذا ما يقنع حضراتهم .

عبد الله السيد : يطلب أفراد باب للسيرة النبوية أو كتاب مدارك السالكين .

طه اسماعيل علي : يقول لأنه قرأ في العدد الحادى عشر بعنوان زينب أخت الحسين يذكر فيه أن علي زين العابدين سمع أباه ليلة مصرعه يقول يا دهر أف لك من خليل ، وأنه سمع من شيخ عالم أن الله تعالى قال في حديث قدسى « يؤذني ابن آدم بقوله يا خيبة الدهر » وهو يرجو من الأستاذ كامل البنا كاتب المقال الإفادة عن هذا . وردا عليه نقول له : إن ما نقله كاتب المقال مثبت في كتب التاريخ الصحيحة الرواية ، وأن الحسين رضى الله عنه لم يسب الدهر ولكنه قال : خليل لا أمان لك . فضلا عن هذا فإن الحديث القدسى الذي ذكر بالتواتر نهى عن سب الدهر باعتبار أنه هو مصدر الأفعال .

عبد الحميد محمد الكفراوي : يرجو أن يخص في الحلة باب لتعريف الناس بالأئمة المجتهدين . ونحن نقول لحضرتة : إننا سبق أن نشرنا سيرة بعضهم ، وسنوالى نشر سيرة الباقي .

محمد صالح — بغداد — ننصح له ألا يتأثر بمعاشرة رجل الدين الدعى السيء الخلق ، ولا يترك دينه من أجل عيّن نراها من لغو الكلام ، وليظل على سيره المستقيم عسى الله أن يوفقه للخير .

عبد الفتاح الحسامي — حمص سوريا — ننصح له أنه كلما اتاياه هواجس أو وساوس من ناحية دينه فليستعذ بالله وليستغفر ويصلى ركعتين ، ثم يتلو بعض آى الذكر الحكيم عسى الله أن يصرف عنه ما يئتابه .

عبد اللطيف رزق : يطلب أن يخص في الحلة باب لأبطال الإسلام الذين خاضوا المعارك . ولعله قد قرأ كثيرا من ذلك . وسيقراً في الأعداد المقبلة إن شاء الله .

فهى مرسى محمد : نشكره ونعده أن نعمل على ما جاء في كتابه من اقتراحات بقدر المستطاع .

حسّين عبد الرحمن : يطلب العمل على محاربة الزار والمجاذيب والبدع وأولئك الذين يتقربون إلى الأولياء وسيرى كثيرا من ذلك إن شاء الله .

الشحات السيد زغلول : يطلب تخصيص باب يتباري فيه طلبة جميع الأمصار التي تغزوها المحلة . ونحن نرحب باقتراحه واعدن بتخصيص هذا الباب إذا اجتمع لدينا من كتابة الطلاب ما يصلح للنشر ويكون ثواة لهذا الباب .

عبد الغنى سالم : يطلب أن ننشر خطبة منبرية تكون نموذجا للخطباء ، وسنحقق له رغبته قريبا .

ملح وطرائف

القبر خير من الفقر :

أوصى أعرابي ابنه فقال : يا بني المنية ولا الدنية ، والعتاب قبل العقاب ، والتجلد لا التبدل ، واعلم أن القبر خير من الفقر ، وذهاب البصر خير من كثير من النظر ، ومن كرم الكريم ، الدفاع عن الحریم ، وخير الفنى القناعة ، وشر الفقر الضراعة ، ولو كان الموت يشتري لى منة أهل الدنيا ، وكيف بالسلامة لمن لى له إقامة ، وشر من المصيبة سوء الخلف ، وكل يجمع إلى تلف . . .

الحياء يمنع الرزق :

من كلام معاوية بن أبى سفيان : الفرصة خلسة ، والحياء يمنع الرزق ، والهية مقرون بها الحية ، والكلمة من الحكمة ضالة المؤمن . .

لا يتعظ :

قال أعرابي من بنى مرة لابنه ، وقد أفسد ماله فى الشراب : لا الدهر يعظك ، ولا الأيام تنذرك ، والساعات تعد عليك ، والأفاس تعد منك ، أحب أمريك إليك ، أردما بالمضرة عليك . . .

أحب الإخوان :

قيل لأعرابي : من أحب إخوانك إليك ؟ قال : من سد خللى ، وغفر زلى ، وقبل على . . .

عليك بدينك :

أوصى أعرابي ابنه فقال : عليك بدينك فقيه معادك ، وعليك بمالك فقيه معاشك ، وعليك بالعلم فقيه زينك .

أعداء الحمر :

قال العباس بن هشام : حرم قوم فى الجاهلية الحمر تكرماً وصيانة لأنفسهم منهم عامر بن الظرب وقد قال فيها :

سألة للفى ما لى فى يده ذهابه بعقول القوم والمال

ومنه قيس بن عاصم وقد قال :

لعمرك إن الحمر مادمت شارباً لسالة مالى ومذهبة عقلى

وفيه صفوان بن أمية وقد قال فيها :

فلا واحة أشربها حياتى ولا أشقى بها أبداً سقيماً . . .

وحرم كثير غير هؤلاء . . . فهل يعتبر المسلمون بهذا بعد أن ثبت علمياً وطيباً أن ضرر الحمر بليغ ، وما ينشأ عنها من الأوجاع والأسقام لا عداد له !!

رباني الأمة :

قال هشام بن حسان : قلت للحسن البصري : يزعم الناس أنك تبغض علياً ! قال : أنا أبيض علياً ؟ ! كان سهماً صائباً من مرامي الله عز وجل . رباني هذه الأمة ، وذا فضلها وشرفها ، وذا قرابة قريبة من رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وزوج فاطمة الزهراء ، وأبا الحسن والحسين ، لم يكن بالصروقة لمال الله ، ولا بالتؤمة في أمر الله ، ولا بالملولة لحق الله ، أعطى القرآن عزائمه ، وعلم ماله فيه وما عليه ، حتى قبضه الله إليه ، ففاز برياض موته ، وأعلام مشرقته . أتدري من ذاك ؟ ذاك علي بن أبي طالب كرم الله وجهه . . .

عناية العرب بالقرآن :

حدث الأصمعي قال : مررت ذات ليلة شديدة القرب بالبادية فسمعت صوتاً يترنم بأغنية كهيات النسيم الليل وهو يقول :

أستغفر الله لذنبي كله قتلنا إنساناً بغير حله

مثل غزال ناعم في دله واتصف الليل ولما أصله

فدنوت من صاحب الصوت فإذا به فتاة لا تتجاوز التاسعة من عمرها ، فقلت لها : يا هذه قاتلك الله ما أبلغك ! . . . قالت : ويحك ! أو يعد هذا بلاغة بجانب قول الله تعالى : « وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين » ؟ فقد جمع سبحانه بين أمرين ونهيين وبشارتين في آية واحدة . . . قال الأصمعي : فانصرفت شديد الإعجاب . صامتاً عن الجواب .

هل أضعنك يا فتى :

كان للامام أبي حنيفة النعمان رضى الله عنه جار اسكافي لا يحلو له إلا العمل بالليل والناس نيام ، وكان يرفع عقيرته بالغناء وهو يعمل ويقول :

أضاعوني وأى فتى أضاعوا

وكان الإمام يسمعه وهو يقوم لصلاة الليل ، فلا ينكر عليه . . . وذات ليلة قام أبو حنيفة لتهجد فلم يسمع صوت جاره . فخرج في غلس الليل وطرق بابه وسأل عنه ، فقيل له : إن الأمير قد حبسه . فذهب من فوره إلى أمير المؤمنين وكله في شأته وما زال به حتى أطلق سراحه . . . ولما خلى بيته وبين السجن قال له أبو حنيفة : هل أضعنك يا فتى ؟ قال : لا ، بل حفظت ورعيت ، فجزاك الله خيراً . . .

حق الجار :

قال عبد الله بن عباس رضى الله عنه : ما زال رسول الله صلى الله عليه وسلم يوصيني بمجاري حتى ظننت أنه سيورثه . . .

الانعاش رمز

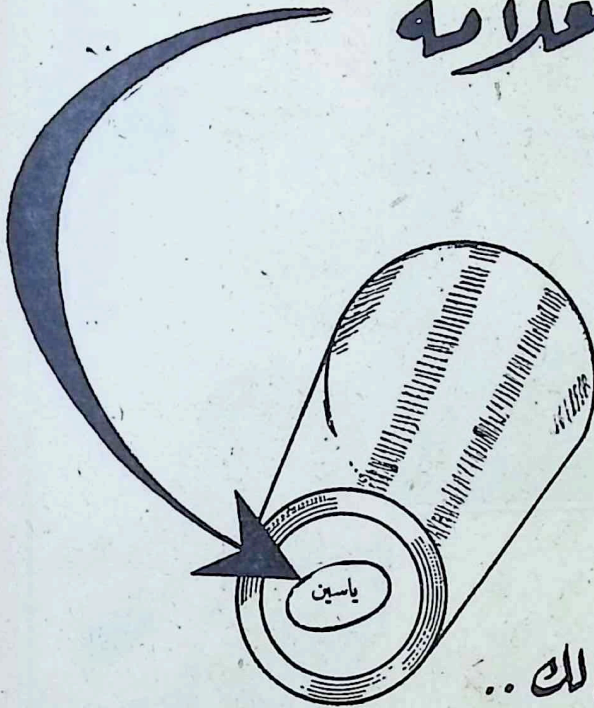
اشرب
كوكا كولا

DRINK
Coca-Cola
TAKE HAPPY DRINK

سنة ١٣٥٤

معاية فنت القطر المصري

هذه العذبة



هي الضمان لك ..

للموصول على منتجات 'ياسين'
المصنوعة دائماً من الزجاج الناصع البياض
القوى الاحتمال ..

مصانع الزجاج الأهلية

محمد بنك سيد ياسين وشركاه

بناتين

ابوالهول

مسلى بناتى نقى للأكل

خفيف على المعدة
خفيف على الجيب

شركة المسح والصودا المصرية



٣	حرب على الإسلام أحمد حمزة
٥	التفسير محمد الحضر حسين
١٠	لا ضرر ولا ضرار فكرى ياسين
١٤	الحج التيفودية دكتور أحمد عماد كمال بك
١٨	مواقف مشهودة عبد الوهاب خلاف بك
٢٣	مكانة المحتسب محمد البنا
٢٩	القرءاء والمقرءون محمود عرنوس
٣٥	فضل المسجد على الثقافة الإسلامية عبد الوهاب حموده
٤٠	التشريع الجنائي عبد القادر عودة
٤٩	أزمة العقل وأزمة الضمير محمد بهجت الأثرى
٥٥	نابليون والإسلام حسن السندوي
٥٩	حول أثر اختلاف العلماء التحرير
٦٢	ذوو القرنى فى الإسلام — ترجمة عبد المنعم الصايف
٦٦	الآيات الكونية التحرير
٦٩	فتاوى وأحكام التحرير
٧١	بين المجلة وقراءها التحرير
٧٣	ملح وطرائف التحرير

مجلة لواء الإسلام

مجلة دينية ثقافية اجتماعية — صاحب الامتياز أحمد حمزة — رئيس التحرير محمد الحضر حسين
مدير الإدارة محمد توفيق عربى — برقىا الزهراء بمصر — ص ٠ ب ١٩٨٢ — تليفون ٥٠٧٢١
العنوان ٤ شارع سكة أبو السباع — القاهرة

مطبعة دار الكتاب العربى

شارع فاروق ص ٥

تليفون ٥٠٩٣٨